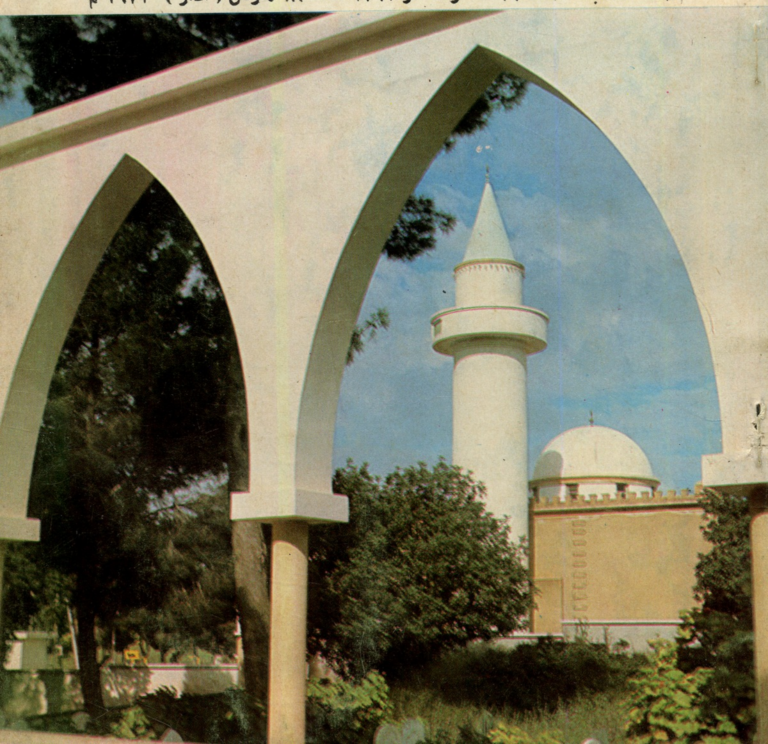
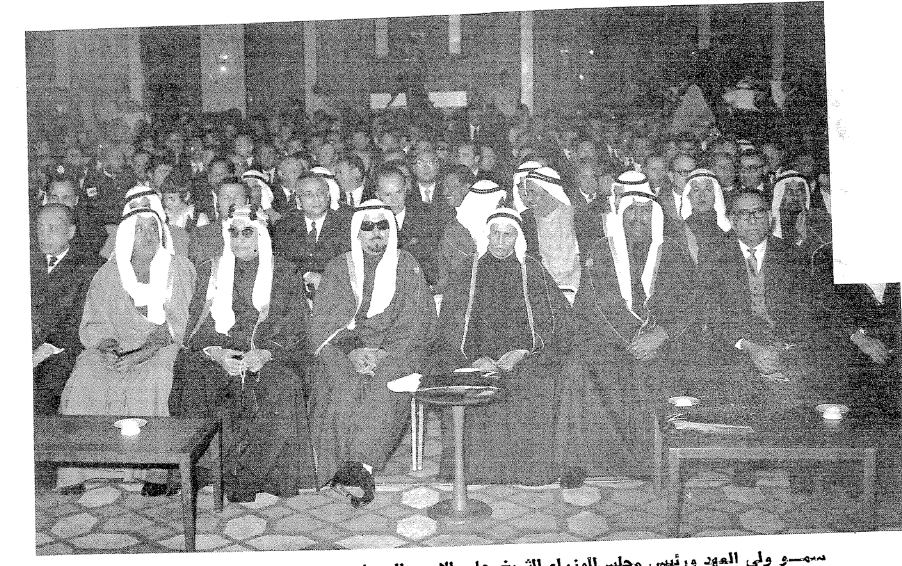
الوعي الإسلامي

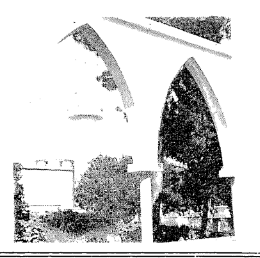
اسلامية ثقافية شهرية

السنة السابعة العدد ٧٤ ـ غرة صفر ١٣٩١ هـ ـ ٢٨ مارس (آذار) ١٩٧١ م





سمــو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجــابر وبعض كبار المسئــولين والسادة المشتركين فى ندوة فلسطين العالمية الثانية وذلك فى حفل افتتاح الندوة .



مسجد سيدى رويفع الانصـــارى الصحابى بمدينة البيضاء بليبيـــا ، وتظهر فى الصـــورة قبة المسجـــد ومنارته الجميلة .

الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P. O. B 13

السـنة السابعـة

العدد الرابع والسبعون

غرة صـفر سـنة ١٣٩١ هـ

٢٨ مارس (آذار) ١٩٧١ م

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسـياسية

الثمـن

الـكويت	٥٠	فلسـا
السعودية	١	ريـال
العراق	٧٥	فلسـا
الاردن	٥٠	فلسـا
ليبيـا	١٠	قروش
تونس	١٢٥	مليمـا
الجـزائر	دينـار وربع	
المغـرب	درهم وربـع	
الخليج العربى	١	روبيـة
اليمن وعدن	٧٥	فلسـا
لبنان وسوريا	٥٠	قرشـا
مصر والسودان	٤٠	مليمـا

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الـكويت ١ دينـار
فى الخارج ٢ ديناران
(أو ما يعادلهما بالاسترلينى)
أما الأفراد فيشـتركون رأسـا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعـوة والارشـاد
وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية
ص. ب ١٣ هاتف ٢٢٠٨٨ ـ كويت

الهجرة عبرة من الماضي وعظة للحاضر

احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم مساء الجمعة ٣٠ من ذى الحجة سنة ١٣٩٠ هـ فى مسجد السوق الكبير ، ونقلت وقائع الحفل بالتليفزيون والاذاعة وقد تفضل معالى الوزير الاستاذ راشد عبد الله الفرحان بالقاء الكلمة التالية :

يطل علينا هلال المحرم ، فيذكرنا بيوم الهجرة ، هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة .. ففى مثل هذا اليوم كان انبثاق نور الاسلام ، مؤذنا بتغير وجه التاريخ .. وفى مثل هذا اليوم صدع محمد بأمر ربه ، داعيا الى الوحدة والتوحيد ، ونبذ عبادة الافراد والاصنام ، مناديا بانصاف الضعفاء والفقراء من ظلم الاقوياء .

ولكن الغيث الذى نزل ، والنور الذى سطع ، صادف قلوبا غلفا ، وآذانا صما ، ولم يؤمن به الا نفر قليل ، وآذاه قومه ، وتآمروا لقتله ، وهو يقول : « اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون » .. وأمر بالهجرة الى المدينة وهاجر معه صحبه ، ولم يزده ذلك الا اصرارا على دعوته ، وايمانا بمبدئه وهناك استقبله أهل المدينة وآووه ونصروه ، فأسس الدولة ، وأقام الوحدة ، فكانت الاخوة والالفة بين الاوس والخزرج ، بعد أن كانوا يقتتلون على بعير ضال ، أو كلمة قيلت فى بيت من الشعر « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم » ..

وكانت المشاركة والمساواة بين المهاجرين والانصار ، فقد أشرك الانصار المهاجرين فى أموالهم وحقوقهم وبيوتهم . وتقاسموا لقمة العيش



معهم ، وساوى النبى صلى الله عليه وسلم بينهم فى الحقوق والواجبات ((الناس سواسية كأسنان المشط)) .

حقا .. لقد أرسى محمد صلى الله عليه وسلم قواعد العدل فـــى المجتمع .. فأسس مبدأ الشورى فى كل الامور ((وأمرهم شورى بينهم)) وأعطى للفرد حرية التعبير وابداء الرأى والنقد وحرية الكلام والتفكير ، حتى المرأة التى بلغ من هوانها على أهلها أنهم كانوا يدسونها فى التراب وهى حية .. صارت بعد الهجرة ذات رأى تعبر عنه ، لها مال تمتلكه واحساس ووجود فى الأمة ((ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف)) ، ((للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن)) .

أيها الأخوة :

اننا حين نحتفل بذكرى الهجرة كل عام ، انما نأخذ منها العظة والعبرة نأخذ العبرة من الماضى ، والعظة للحاضر .

ومن ذكرى الهجرة نعلم أن كل صاحب دعوة ، وكل قائد ، أو زعيم لا بد وأن يلاقى من خصوم دعوته صنوفا من النقد الكاذب ، وزيفا من أنواع الأذى ليثبطوا همته ، ويصرفوه عن دعوته ، ولكن من كان مع الله كان الله معه ، فيا دعاة الحق وورثة الانبياء والرسل ، ان لـــكم فى رسول اللـــه الأسوة الحسنة اذ يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الامر ، ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونـــه » .

ومن ذكرى الهجرة . نتعلم الثبات على الحق عند مواجهة الاعداء . وعدم الفرار من الميدان ، وعدم التولى يوم الزحف ، فعندما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة لم يكن ذلك فرارا من الموت ، ولا خوفا من المواجهة ، وانما كان ذلك تطبيقا لخطة عسكرية (استراتيجية) لأنه من القواعد العسكرية الاسلامية ، ان الجندى فى المعركة لا يبارحها الا فى حالتين : الاولى أن يتخذ له مكانا أمكن وأفضل من مكانه ليتسلط على العدو والثانية أن ينضم الى قوة أخرى تمكنه من العودة للعدو ، والتغلب عليه « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » .

وبذلك استطاع الرسول وصحبه العودة الى مكة . وفتحها بلا قتال ، ثم توالى انتصار جيوش المسلمين على الروم والفرس وغيرهم .

وأنتم ، يا من تقفون على خط النار مع العدو . وأنتم ، يا جنود الفداء ، مطالبون بالثبات وتحرير الارض المحتلة والمقدسات الاسلامية . وعدم التولى يوم الزحف ، فان لكم احدى الحسنيين ، فاما الشهادة ، واما النصر ، « قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون » .

أيها الاخوة المواطنون :

ليكن لكم من ذكرى الهجرة حافز للمشاركة والتعاون والصراحة والبذل ، فكلنا شركاء فى المسئولية ، كما نحن شركاء فى الوطن ، وكلنا أصحاب حق كما نحن حراس لهذا الحق ، فأنتم مدعوون للمشاركة فى بناء وطنكم والذود والدفاع عن أمتكم .

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

وفى الختام .. لا يسعنى فى هذه الذكرى الا أن أتقدم بالصلاة والسلام على صاحب هذه الذكرى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .. والى صاحب السمو الامير المعظم وولى العهد وسائر الشعوب الاسلامية بالتحية والاحترام ، سائلا المولى عز وجل أن يعيدها على المسلمين ، وقد تحررت أوطانهم ونصرهم الله على عدوهم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته





المسئولية

كل فرد فى الأمة الاسلامية ، فى أى موقع من مواقع عمله مسئول أمام الله ، وأمام ضميره ، وأمام الأجيال المسلمة المقبلة عن الواجب عليه للاسلام والمسلمين فى هذه الظروف القاسية التى تمر بها أمتنا ، وستجنى الأمة فى مستقبلها نتيجة النهوض بهذا الواجب ، او التقاعس عن أدائه ، وسيكون الحكم العادل فى الدنيا قبل الآخرة لنا أو علينا للتاريخ الذى لا يجامل فى قضائه ولا يحابى فى حكمه . والنهوض بالواجب شرف وعزة ، والتفريط فيه دناءة وخسة .

والنهوض بالواجب كاملا ينبع من الشعور بالمسئولية كاملا ، وهذا الشعور لا يفرض على الانسان من خارج نفسه ، فلا يأتى نتيجة لأمر يصدر ، أو قانون يفرض أو ضغط يمارس ، وانما يتولد من ايمان المرء بربه ، وثقته بنفسه ، وتقديره لوجوده واحساسه بانه عضو كريم فى مجتمع كريم ومجتمعه الكريم لبنة فى أمة عزيزة وأمته جزء من الانسانية التى كرمها الخالق جل علاه : ((يأأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا)) ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم)) فالشعور الكامل بالمسئولية يأتى ثمرة للعقيدة التى تشعر الفرد بكرامته وكرامة أمته وكرامة البشرية .. العقيدة التى تأبى الضيم ، وترفض الدنية ، وتمقت الظلم ، وتواجه الظالمين ، وتشترى العزة والكرامة بأغلى التضحيات ، وأفدح المشقات .. العقيدة التى تصهر هذا الشعور وتحوله الى أعمال وواجبات تسترخص فيها الأرواح وتبذل الدماء ((ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنه يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم

الذى بايعتم به وذلــك هــو الفوز العظيم)) .

والواجبات التى تفرضــها علينا ظروف المعركة التى تخوضها أمتنا مع الصهيونية الشرسة المتبجحة تبدأ من العــامل فى المصــنع والزارع فى الحقل والطالب فى المعهد والمدرس فى حجرة الدراسة ، وتتــدرج الى المهندس فى الموقــع والعــالم فى المختبر والطبيب فى المســتشفى ، وتنتهى بالجنود والقادة فى ميادين التدريب وعلى خطوط المواجهة مع العدو .

كل فرد فى الأمة جندى فى مكانه . فارس فى موقعه ، محارب بسلاحه الذى فى يده ، مسئول عمــا قــدم وأخر ، محاسب على ما أنجز وفرط ، وبمقدار التعاون والتكامل والاخلاص فى أداء كل لواجبه يكون عون اللــه ونصر الله .

ان الشراسة التى تسرى فى دماء العدو ، والصلف الذى يدل به يجعل الرؤية واضحة أمام أعيننا ، فالمعركة طويلة الأمد ، فادحة التضحيات .. هذا قدرنا الذى لا مفر منــه ، ولا خيار فيه ، فاما حياة عزيزة كريمة ، وأما ممات لعمرى لم يقس بممات .

بهذا يجب أن نتصارح ، وعلى هذا يجب أن نوطد العزم ونحمل النفس ونبذل العرق والدم ، ونشد الأحزمة على البطون ، ونبنى جســورا من الصبر والاحتمال والأقدام نعبر عليها الــى أرضــنا المفقــودة وكرامتنــا الموءودة ، وعلى هذا يجب أن نعاهد الله ، ونصدق فى العهد ، كما عاهده آباؤنا الصادقون : ((من المــؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)) .

وهناك أوليات لا بد منها جميعــا لكسب المعركة :

- العقيدة الراسخة .
- الوحدة الكاملة .
- الانفاق الذى يبلغ حد الايثار والمشاركة فى الكسرة الواحدة .
- الاعداد الذى يبذل فيه أقصى حدود الطاقة .
- الاقدام الذى يجعل الموت أحب من الحياة .

هــذه أضــواء على واجبــاتنا ومسئولياتنا ، ولا يتحلل من هــذه المســئولية الا الفــارغون الهازلون الذين لا يدركون سر وجودهم ولا قيمة حياتهم ، ولا ينفعون أنفسهم ، ولا تنتفع بهم أمتهم ، لا يسدون كريهة ، ولا يشاركون فى محمــدة ، يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام ، والنار مثوى لهم .

ان بعض الذين لم يجاوز الايمان حناجرهم يتوهم ان حدود مسئوليته انما تنحصر فى تدبير شئون نفسه وشئون أسرته ، وما يقتضــيه هذا التدبير من توفير المــآكل والمشرب والملبس والمسكن والدواء والتعليــم والمتع قدر المستطاع ، وما عليه بعد ذلك أن يشقى جــاره ، أو يمرض مجتمعه ، أو يحتل وطنه ، أو تستذل أمته .. هذا فهم خــاطىء لحــدود المسئولية : فمن بات شبعان وجاره جائع مسئول ، ومن اســتيقظ آمنا وأخوه خائف مسئول ، ومن شــيد داره وحدود وطنه مكشوفة للعدو مسئول ، ومن صلى فى بيته وبيوت اللــه تتعرض للتخريب والتــدمير مسئول ، ومن انطوى على نفســه يعبد ربه ودين الله تنتهك محارمه

مسئول . فكلكم راع . وكل مسلم حارس على ثغور الاسلام والمؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، والمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه .

وقد أبتليت الأمة الاسلاميه فى عصرها الأول بجماعة رضوا بالدون من الحياة ، وتحللوا من مسئولياتهم عن الدفاع عن دينهم ، فأخلدوا الى الأرض ، وقعدوا عن الجهاد ، وآثروا الراحة والدعة ، فذمهم الله وعاب عليهم مسلكهم ، وجعلهم مثار العجب للأجيال من بعدهم .. يقول الحق تبارك وتعالى فى سورة النساء ((ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشيه الله او أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا.أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة)) .

وتناول القرآن الكريم جماعة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسكوا المال وضنوا به عن النفقة فى سبيل الله ، فندد بهم وبين أنهم أول من يتضرر بهذا البخل والشح يقول الله سبحانه فى سورة محمد ((هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)) .

والحديث عن مسئولياتنا يقودنا الى الحديث عن مسئولية من نوع آخر .. مسئولية مزورة حرفها المغرضون عن مواضعها .

ان مفهوم المسئوليه ظاهر واضح فهو يتمثل فى القيام بحق الله ، والعمل على رقى الفرد والسعى لخير الامه والمشاركه فى سعاده الانسانيه ، ودفع الغوائل عنها .

ومع هذا الجلاء والظهور لمفهوم المسئوليه كان كثيرا من الناس يعمى ، ويضل عن طريقها ويتاولها على النقيض من مفهومها ، فيتصرف بحمق ، وهو يحسب انه يقوم بواجب ، وينهض بمسئوليه ، ويحسن صنعا .

ان الذين تخدعهم مطامعهم الاستعماريه ، فتلون لهم معنى المسئولية ، وتعكس مفهومها فى عقولهم وتفكيرهم هم جد مخطئون واهمون . ان تسليح المجرم اجرام ، ومساندة الظالم ظلم وحماية الباغى افساد وتحريض المعتدى اذكاء للحرب لا اقرار للسلام .

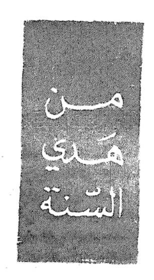
ما هى المسئولية التى يجب أن تتحملها الانسانية لمواجهة رعاع برابرة سفاحين روعوا الآمنين وقتلوا الأطفال والنساء ، واغتصبوا أرضهم ونهبوا أموالهم ؟

ما هى المسئولية التى يجب أن تتحملها الانسانية لمن تنكر للمقدسات الدينية فاستباح حرمتها وانتهك قداستها ، وخربها وأشعل النار فيها .

أهى تزويده بالسلاح ، ومده بالخبرة ، واعانته على المظلوم ..

انها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

مدير ادارة الدعوة والارشاد
رضوان البيلى



منهج الحياة في الإسلام

للدكتور : علي عبد المنعم عبد الحميد
المستشار الثقافى لوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى (١) فقال :« كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » (٢)

رواه البخارى

١ ـ دار اقامتنا فيها محدودة بزمن معين ، وكل لحظة تمر تقربنا خطوة نحو النهاية مجتازين طريقا وعرة المسالك ، تحيط بها الأهوال من كل صوب ، ولا بد لعابرها من أن يأخذ حذره ، ويعد لكل بادرة ما يناسبها ، حتى لا تفجأه الحوادث فيهن أمامها ، ولا يستطيع الافلات من مآزقها ، وقد حرص الاسلام كل الحرص على أن يبين فى جلاء ووضوح معالم العيش فى هذه الدار العاجلة ، وجرت سنته فى تعاليمه أن يفهم الانسان أن سلامته فى سلامة غيره ، وأن أمنه وراحته فى أمن الجماعة وراحتها ، وأن الطمأنينة النفسية التى هى مصدر السعادة الحقة لا تتحقق له الا بسعيه لتمكين الغير منها ، فهو لا يعيش فردا ، ولا

---

(١) المنكب ، بكسر الكاف مجمع العضد والكتف .

(٢) قال ابن حجر العسقلانى : قال الطيبى : ليست (أو) للشك بل للتخيير والاباحة ، والاحسن أن تكون بمعنى بل ،فشبه السالك بالغريب الذى ليس له مسكن يؤويه ، ثم ترقى وأضرب عنه الى عابر السبيل ، لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقطاع طريق ، فان من شأنه أن لا يقيم لحظة ولا يهدأ لمحة .

يمكن أن يصل الى أهدافه بفرديته وتطور الوجود الذى نلمسه كل يوم هو خلاصة مجهود بشرى عبر قرون ، وعصارة عقول من وادى عبقر تضافرت وتكاثفت فكان هذا نتاجها . وكل متاخر يرقى السلم الذى وضع أسسه المتقدم مضيفا درجة جديدة ، ومن ونى وتقاعس لفظته الأيام ، ونأت به عن مركز الصدارة ، ومضى لم يحس به أحد ، بعد أن يقطع أيامه عبئا على غيره ، وكلا على مولاه ، يشار اليه — ان أشير — بازدراء ، فينزوى فى ظلام يلفه ، وديجور يعفى آثاره ، والمسلم الذى فقه وعرف ما هو الاسلام ، وأدرك ، لماذا أرسل خاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وأحب مختارا متعقلا متفهما أن ينضوى تحت اللواء ويسير مع الركب الالهى لا يرضى بالدنية ، ولا يقبل محقرات الأمور ، ولا يستكين أمام عداته ، ولا يضعف عزمه مهما أحيط به ، فلا تخضد شوكته ولا تلين قناته ، ولا تنكس رايته ، ما دام به عرق ينبض بالحياة ونفس يتردد معلنا أنه موجود ، فما الموت الزؤام الا لمسة رقيقة من يد القدر تصله بالبقاء الدائم ، وترقى به الى الخلود السرمدى ، وهو فى الوقت نفسه حذر يعرف موضع قدمه ومنطلق سيره ، يقلب الأمور على جميع وجوهها ، ويلبس لكل حالة لبوسها ، ويلج الى كل ميدان بسلاحه ، فلا تسيل منه قطرة دم الا حيث يجب أن تسيل ، ولا يترك لعدوه فرصة لينال منه ، نومه لماما ، ويقظته دفع لعجلة الحياة نحو الأفضل والأكمل ، ان طعم فلكى يعيش ويحيا ، وان صام فلتنفيذ أمر علوى ، مكانه الصدارة فى كل مسلك والقيادة فى قوافل الخير ، خير الانسانية للانسان الذى يتابع نفس الطريق ، والابادة للعنيد العاتى المتصدى لعداوته ، غير هياب مهما ادلهم الأمر ، وتتابعت الخطوب ثقة منه بقدرة مبدعه على نصره ، وسيرا على سنن الذين قالوا للجبار العنيد الخائب القصد : « فاقض ما أنت قاض انما تقضى هذه الحياة الدنيا » .

٢ — وهنا تتردد أصداء اصوات تتلاحق آتية من بعيد أو قريب صائحة وكيف الخلوص من علائق الحياة ، وهى حلوة خضرة ، تتجاذب هذا الانسان الذى خلق ضعيفا من كل جانب ، وتلوح له بشهواتها ومتعها من كل طاق وباب ، وتهيب به أن هلم ولا تقاعس ، فتعميه وتصمه عن الحقيقة الماثلة ، ويخيم بخار أنفاسها المتصاعد على عينيه فيحجب الشمس عنهما ، ويرده الى ليل وأحلام ورؤى ، يغرق فى بحارها ليالى وأياما ، متوهما أنه أصاب المأرب ، ووقع على الخبير وأدرك كل مطلب ، وتلك لعمر الحق شراك الهوى ، ومدرج السقوط ، وحبائل السوء ، فكيف بربك يصل الى وسيلة النجاة وأين طريق الخلاص ؟! ولن يطول التساؤل كثيرا ، فالجواب قد أعد منذ قرون ، والخطة رسمت بعناية ، وما بقى الا عقل يتدبر لينجو ويعمل ليسعد ، بعد أن يدرك دقة التعبير وبلاغة القول ولطائف الحكمة فى عبير الكلم الطيب : « كن فى الدنيا كأنك غريب » .. حقا غريب ناء عن الديار فالاقامة التى لا نهاية لها ليست هنا ، والخلود المستمر ما هذا مكانه ، فانت فى دنياك (غريب) حل بلدا لهدف يقصده ، وعمل يريده ، وواجب يقوم به سحابة نهار ثم ينطلق مع الامساء الى مقره ومرده ، والغريب لا سند له الا شجاعته وخلقه ، وحكمته وحسن تأتيه للأمور والحرص على جيد القول ، وكريم المعاملة واسداء النصح والمعروف لكل من يلاقى ، والبعد ما استطاع عن

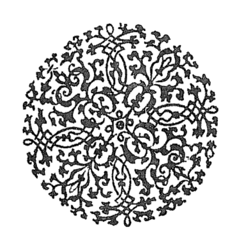
مواطن الشكوك والفتن ، لا يدخل انفه فى أمور البلد الذى حل به ضيفا وأقام به ليرتحل عنه ، فسيرته محمودة ، وخيره مرجو ، وشره مأمون ، وبهذا تدوم له العافية ، ويلقى اكراما ، ويقيم على الرحب والسعة ، فلا يضيق به الناس ولا يتذمرون من وجوده بينهم ، ولا يحاولون به شرا ، وما ذاك الا لثقته بأن بقاءه معهم لن يطول فيحمله هذا على طهارة اليد واللسان ، وان أراد الخير لنفسه زاد فى المعروف ، والعاقل لا يعبر دون أن يترك أثرا كريما ، فيجب أن يتفحص ويدرس ، ويراقب ويتفقد ويكتسب الاصدقاء والخلان ، ويأخذ ما استطاع من جنى الخير وثمار الفضائل حتى اذا بارح البلد الذى حل به غريبا خرج منه وجعبته ملأى بالتجارب النافعة وتزود منها بالتقوى التى تحفظ عليه دماءه ، وتعينه على الوصول الى مستقره فى أمن وعافية وسعادة وايناس ، فكل ما يدخر محفوظ له ، وكل ما يقدم من خير سيجده عند الشدة ، وتجىء نهايته على أحسن حال ، وتحمد اقامته ورحيله .

٣ — وحال أخرى تلف فى طياتها معان ومعان ، وتذكر بأمور واقعة ووقعت ، وتدق بشدة أبواب المسلمين فى كل مكان ، وتهيب بهم لم لم تعوا بعد أن طرقت أسماعكم منذ قرون وقرون ، أنى لم آت عبثا ، ولم أسجل دون غاية ، وانما لأمر خطير أشار الى راعى الانسانية وهاديها ، وجئت على لسانه الشريف كلمة طيبة فهل من مدكر : « أو عابر سبيل » القوا الى عقولكم لتدركوا ما يرمى اليه سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائلوا أنفسكم : ماذا يجب أن يفعل عابر السبيل وأية عدة بها يعتد ، وأى سلاح يحمل ، وبأى زاد يتزود ، ان عبور السبيل ليس بالأمر الهين ولا سيما اذا كان مجهولا لم يطرقه السالك من قبل ، لا بد اذن من تحسس كل خطوة فى هذا الطريق ، وفرض أسوأ الفروض التى قد تصادف السارى فيه ، فوجود قطاع الطرق محتمل ، وعوادى الضاريات متوقعة ، والتواء السبيل وتعدد دوربه ومعمياته من طبيعته ، فالسالك الواعى يحمل زاده ويريش سهامه ، ويشحذ سيفه ، ويملأ كنانته ، ثم يمضى لطيته معتمدا على قيوم السموات والأرض بعد أن يتهيأ لملاقاة جميع الأخطار ، وبهذا يسير بخطى ثابتة ، وقلب حديد ، وايمان أكيد بالوصول الى غايته دون تعثر أو ابطاء ، فلو عرض له عدو ، أو التقى به فاتك ألوى ، أو مضى ولم يلق ماء ولا طعاما ، لا يضيره كل أولئك فلديه وسائل الدفاع عن نفسه ، وما يرد به غائلة الجوع والظمأ ، وما يدحر به كل معترض ، وما يقوى به على كل من أراد به سوءا ، وهذا ما أراده الحديث الشريف حتى يقتلع حب البقاء فى هذه الآجلة من قلوب قوم آمنوا بالله ورسوله ومع ذلك تمر أيامهم فيها فى أسمى ما يتصور انسان من القيادة والريادة ، فلا يعيشون امعات ولا جبناء ، ولا يتكلون ولا يتواكلون . يعرفون مكانهم فى الوجود فيتسنموه وحماهم فيذودون عنه ، وحياضهم فيحمونها ، ويحيون مستعدين للنهاية الكريمة المرجوة فى ايمان بنعيم دائم وخير مقيم ، ودائما تشير الاحاديث الى تقلب الأمور وعدم ثباتها ، وتحث على اقتناص الفرص وعدم تركها تفلت ، فهى ان أفلتت فلن تعود ، ويضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمثال بالمحسات لنرقى منها الى معان أسمى وأفضل ولا نحصرها فى دائرة لفظها الذى صيغت به ، وكل لبيب بالاشارة يدرك ما ترمى اليه ، وما تهدف الى نيله ، واستمع

معى الى قوله عليه أفضل الصلاة والسلام مما جاء فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أخرجه الحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه : « اغتنم خمسا قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .

٤ ــ بعد أن أدركت ما استطعت مما مر بك من حديث سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعال معى نتأمل يوم المسلمين أتباع معلم الانسانية وهادى الثقلين ، كيف نجدهم ؟ هل فكروا منذ قرون فى يومهم هذا الذى يعيشونه الآن ؟ وهل تنبهوا الى وجود عدو تقليدى معتد أثيم صاحب الاسلام منذ بدا فجره ولاح نوره فى الأفق محاولا طمس معالمه واقصاء رواده عنه ، وهل أدركوا أنه يعمل جاهدا على محوهم وان قائدهم الاول لم يسترح من شر هذا العدو أبدا ، ان غفلة الآباء والأجداد هى التى يجنى الجيل المعاصر ثمارها المرة القاتلة ، فليس ما يجرى على المسرح الآن وليد يومه أو أمسه القريب وانما هو شىء خطط له منذ قرون متباعدة ضاربة فى أغوار الماضى ، ولا أدرى ــ وان كانت الأمور جلية ــ كيف لم يحرص الآباء والأجداد على وحدتهم ، وجديتهم ، وتعاضدهم ، ويعملوا ليوم أسود يثب فيه العدو على الأبناء والأحفاد ، لقد استناموا الى ما انغمسوا فيه من متع فانية زالت عنهم وتركوا البغاث بأرضهم يستنسر ولعل هذه الصدمات المتوالية تفيق المعاصرين الى الأخطار اللاحقة بهم ، فيحاولوا النظر فى آثار قائدهم وهاديهم سيدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخلصوا ولو على المدى البعيد من آثار عدوان عدوهم ، وليكن المسلمون فى دنياهم غرباء وعابرى سبيل لا يهتمون الا بما يمكن لهم من رقاب الفجرة الكفرة رجس هذا الزمان وكل زمان ..

يا قومنا أجيبوا داعى الله ، وتوحدوا ، ابدأوا العمل الجاد ودعوا الاحلام والرؤى فلن تدوم ، احزموا أمركم جماعة لئلا تؤكلوا فرادى ، وأعلموا أنه ما أفاد قول لا يتوج بعمل ، ولا تنفع دعوة ليس وراءها سلاح وصوارم وامة أمرها جميع ، وأردد : « لا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » ..

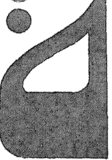


الصلاة في مجال الإيمان
بالله وحده هي السبيل الى :

١ـ نقل الإيمان بوحدة
الألوهية إلى الحقيقة
النفسية المستمرة

٢ـ وإلى نصر الله للمؤمنين
أفراداً وجماعة .

٣ـ وإلى ذكر الله كثيراً. يجب
ألا يذكر في بيت الله سوى اسم الله



للدكتور : محمد البهي

الايمان بأن الله واحد ـ اذا عبر عنه من يعلن الايمان به بشهادة : أن لا اله الا الله ـ هو فى ذاته حقيقة نفسية ، أو يجب أن يصبح حقيقة نفسية تستقر فى قلب المؤمن أو فى أعماق نفسه . والا بقى قولا : لا مدلول له فى واقع النفس وفى واقع حياتها .

وبتحليل عبادة (الصلاة) ـ كما جاءت فى الاسلام ـ وتحليل علاقتها بتلك الحقيقة النفسية للايمان بوحدة الله يتضح :

أولا : أن الصلاة هى العبادة التى تؤدى فى : الصحة والمرض ، وفى السفر والاقامة ، وفى الحرب والسلام ، وفى الصغر والكبر ..

أى تؤدى فى كل وضع للانسان ، ويطلب أداؤها فى كل حال من أحواله على نحو ما . فيترخص فى أدائها فى السفر فتقصر الصلاة الى ركعتين :

« واذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » (١) .

وبالاضافة الى قصر الصلاة وقت القتال مع الاعداء ، يترخص فى أدائها جماعة على نحو لا يمكن العدو من المؤمنين ، كما جاء فى قوله تعالى ، بعد ذلك :

« واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا أسلحتكم ، وخذوا حذركم ، ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا . فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا أطمأننتم فأقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » (٢) .

● وهى العبادة التى تعد لها الأرض جميعها مسجدا تقام فيه . فليس أداؤها مرتبطا بمكان معين أو ببيت خاص تقام فيه : « جعلت لى الأرض مسجدا وطهورا » .

● وكذلك هى العبادة التى تؤدى من فرد على حدة ، أو من أفراد مجتمعين .

● هى العبادة اليومية كذلك : يفتح بها يوم السعى والعمل ، وتتخلل أوقاته ، ويختتم بها نهاره : « وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل » (٣) « أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل » (٤) « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى » (٥) .

● وهى العبادة التى :

يؤذن لها باعلان الشهادة بأنه : لا اله الا الله . ويتكرر النداء بهذه الشهادة فى أدائها فى اليوم الواحد ، وتصطحب كل حركة من حركاتها : فى القيام فيها ، والركوع ، والسجود : بالاقرار بأنه سبحانه وتعالى : « الله أكبر » .

● وهى العبادة التى يدعو فيها المصلى فى كل ركعة من ركعاتها — عندما يقرأ الفاتحة الواجب قراءتها — : بأن يمنحه الله العون فى أن يجنبه اتجاه « المادية » فى شرورها وآثامها ، وأن يبقيه على « روحية الاسلام » :

فى الايمان بوحدة الألوهية ، عندما يناجى المولى جل وعلا : « اياك نعبد واياك نستعين » ، وفى الايمان باليوم الآخر ، عندما يقر بأنه : « مالك يوم الدين » وفى اتباع الصراط المستقيم الذى لا انحراف فيه ، عندما يتوسل اليه سبحانه فى مناجاته بقوله : « اهدنا الصراط المستقيم » .

واضداد هذه الامور الثلاثة وهى :

انكار اليوم الآخر ، والشرك بالله ، والضلال فى السبيل . هى نتائج اتجاه المادية فى الحياة .

وسورة الفاتحة التى تتكرر فى كل ركعة من ركعات الصلاة اليومية، سواء منها الفريضة أو النافلة ، والتى يتوسل الانسان بما جاء فيها من دعاء الله بأن يقيه من الشرك ، وانكار البعث واليوم الآخر ، والضلال فى فى السلوك ، ويؤمنه البقاء على الايمان بالله وحده وعبادته اياه لا غيره، وبالبعث واليوم الآخر ، وبالهداية فى طريق العمل والسلوك .. هذه السورة القصيرة — وهى أم الكتاب — تحمل الدور الأول فى عبادة الصلاة فى نقل الايمان بوحدة الالوهية ونتائجه من « المفهوم » الذى يتحدث به اللسان الى « الحقيقة النفسية » المستقرة فى القلب ، والتى هى فى الواقع العامل الدافع الى التطبيق العملى للنظرة الاسلامية الى « المادية » والتبعية لها .

وثانيا : ان الصلاة — بما لها من عناصر التأثير ، سواء بفعل صيغة الدعاء فيها ، أو بلحظة اللقاء النفسى والتصورى فيها مع الله سبحانه وتعالى ، أو بتكرار وقوعها وتقارب زمن الوقوع — تكاد تكون العبادة الاصيلة التى تقرب المؤمن من الله ، وبالتالى التى «ترسب» مفهوم الايمان بوحدة الألوهية فى نفس المؤمن ، وتجعله مدلولا واقعيا وحقيقة مستقرة فيها .

فالصلاة فى روحياتها ، وفى سعة الفرصة فى حياة المؤمن لادائها ، بعدم العوائق التى تحول دون هذا الأداء ، وفى تركيز الروحية فيها على « وحدة الالوهية » — التى هى فى مقابل المادية والشرك فيها — ضرورة لازمة للمؤمن ، الذى يريد أن يكون لايمانه فاعلية فى سلوكه ، وعلاقاته، وحياته على العموم ، وضرورة لازمة كذلك فى تحول ايمان الامة والجماعة الى سلوك مستقيم وعلاقات طيبة فيما بين الافراد بعضهم مع بعض .

وصلاة الجماعة ان قصد منها اخراج الفرد من عزلته الروحية التى ربما يوحى بها تصوره الضعيف لوحدة الالوهية فى عبادته لله وحده ،

فيقصد بها قبل ذلك نقل روحية الصلاة من مستوى الفرد الى مستوى « روحية الجماعة » حتى يكون أثرها مضاعفا فى نفس الفرد ، وحتى ينقل كذلك « مفهوم » الجماعة الى « حقيقة نفسية للجماعة » تستقر فى النفس ، بجانب حقيقة الايمان بالله وحده .

واذا اقترنت الحقيقتان النفسيتان : حقيقة الايمان بالله وحده ، وحقيقة الجماعة ، فى نفس المؤمن وترسبت كلتاهما فى أعماق النفس، فان هذا الترسب ذاته للحقيقتين معا سيكون فى أثره مزدوجا : على تجنب « المادية » التى هى سبيل الشرك ، وعلى عدم خضوع الذات للشهوة والهوى ، ذلك الخضوع الذى يمثل أنانية الذات من جهة ، والبعد عن الروح الجماعية من جهة أخرى ، كما يمثل التبعية للالتجاء المادى فى الحياه والبعد عن التأثر بالايمان بوحدة الالوهية كذلك .

• • • • • • •

● ولأهمية الصلاة فى حياة المؤمن — عن طريق فاعليتها فى ترسيب حقيقة نفسية لمفهوم الايمان بالله وحده — جاء فى القرآن الكريم اقتران أدائها بالانتهاء من الفحشاء والمنكر ، واقتران عدم أدائها باتباع الشهوات والاسترسال فى انحرافات الاتجاه المادى فى الحياة :

فاقتران الانتهاء من الفحشاء والمنكر بأداء الصلاة جاء قول الله تعالى :

« اتل ما أوحى اليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » (٦) .

... فالصلاة التى ترسب فى النفس حقيقة الايمان بالله وحده لا بد أن تنتهى معها الفحشاء والمنكر فى مباشرتهما ، وكذا فى الاندفاع تحت تأثير الهوى والشهوة ، فى الرغبة فيهما .

واقتران عدم أدائها باتباع الشهوات والمنكر تقصه الآية القرآنية الاخرى فى الحديث عن الاجيال التى خلفت الانبياء منذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، نبيا بعد آخر ، فيما يقول الله تعالى :

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا .

« الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا » . (٧)

... فالخلف الذى كان يأتى بعد جيل الرسالة لاى رسول من الرسل على عهد ابراهيم حتى رسالة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، كان يهمل فى أداء الصلاة حتى يضيعها ، وبالتالى كان يسقط فى التبعية الى الشهوات وانحرافاتها ، حتى يأتى رسول آخر يحذر من الاستمرار فى انحرافات الشهوات ، وينذر بتغيير المجتمع كله وسقوطه، فيؤمن به البعض ويكفر برسالته البعض الآخر . وهو ذلك البعض الذى أعماه ترف الحياة ، وطغيان اتجاه المادية عن أن يرى الصواب فى السلوك والهداية فى طريق الحياة .

فضياع الصلاة اقترن به هنا فى الآية اتباع الشهوات والعمل السىء ، كما اقترن به الشرك بالله . ولذا ترشد الآية الثانية الى الوضع السليم الذى يجلب من جديد الرضا ، ويبعد عن الشقاء . وهو وضع

العودة الى الصلاة . ومن ثم الى العمل الصالح والايمان بالله وحده : « الا من تاب (وعاد الى الصلاة) وآمن (بالله وحده ولم يشرك معه شريكا آخر) وعمل صالحا (بالابتعاد عن الشهوات) .

واذا كان هدف الصلاة ، وشأنها أيضا ، ان تنقل مفهوم الايمان بالله وحده الى حقيقة نفسية واقعية فى ذات من يعلن الايمان به ، فانها العبادة « الأم » وعليها يقع الاعداد السليم والنافذ لتطبيق النظرة الاسلامية كلها فى حياة الانسان ، سواء تعلقت بالمادية ، أو بملكية المال ومنفعته . والعبادتان الأخريان بعدها — وهما عبادتا الصوم والزكاة — تضيفان اليها فقط فاعلية ثانوية .

والصلاة لهذا كله تعتبر « عماد الدين » . ولهذه الاهمية الكبرى لها اذ ينصح القرآن الكريم فى كثير من المواطن بأمر أو بعبادة أخرى فى مقام يتطلب النصح بهذا الامر أو بهذه العبادة لوجود علاقة مباشرة بين مقام الحال وهذا الامر أو هذه العبادة . فانه كثيرا ما يضيف الصلاة فى النصح الى الامر الخاص أو العبادة الخاصة .

يقول الله تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، ان الله مع الصابرين . ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات ، بل أحياء ، ولكن لا تشعرون . ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا : انا لله ، وانا اليه راجعون » (٨) .

... فالمجال هنا هو مجال العرض لموقف الكافرين : فى عنادهم ، وفى تآمرهم على الدعوة ضد المؤمنين . ووضع المؤمنين يتطلب الآن التحمل والصبر ، سواء على ايذاء الكافرين لهم ، أو على رفضهم لنداء الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو للشدائد التى يلاقونها فى القتال مما يترتب عليها : النقص فى الاموال والثمرات والانفس ، كما يترتب عليها : الخوف والقلق .

ولكن مع النصح بالصبر هنا فى قوله تعالى : « استعينوا بالصبر » وتأكيد هذا النصح فى تعقيب الآية : « ان الله مع الصابرين » .. فان القرآن عندما طلب من المؤمنين أن يستعينوا بالصبر ، أضاف الى الاستعانة به الاستعانة بالصلاة أيضا وكانت الآية : « يا أيها الذين آمنوا : استعينوا بالصبر ، والصلاة » .

وكذلك فى مقام آخر حددت جوه هذه الآيات :

« يا بنى اسرائيل !

« اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون . ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين . اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون . ؟

« واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون . » (٩) .

... والجو القائم فى هذه الآيات هو أن بنى اسرائيل ، رغم نعمة

الله عليهم بانقاذهم من الذل والاستضعاف الذى ذاقوا بسببه ألوانا عديدة من العذاب واهدار الآدمية ، ورغم ما فى التوراة من عهد ووصية من الله لبنى اسرائيل بالايمان بكل رسول يأتى ، بما فى الرسل : محمد صلى الله عليه وسلم . فان بنى اسرائيل تحت :

التأثر بحب الرياسة والاستمتاع بمتع الحياة وزخرفها ، من كبرائها.

.. اعلنوا الكفر برسالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام .

وفى سبيل الحرص على الزعامة والرياسة . والبقاء فى التبعية للاتجاه المادى فى الحياة كانوا يخلطون الحق بالباطل . مع العلم بالحق فى ذاته. كما كانوا يستخدمون التأويل التعسفى فيما جاء بالتوراة لتبرير كفرهم . رغم نصح الاحبار منهم لاتباعهم بطاعة ما جاء فيها . فكان تنديد القرآن بصنعهم ، وبموقفهم ، وبعدم وفائهم للعهد ولما جاء فى الكتاب المنزل اليهم، كما جاء طلبه اليهم فى :

أن يوفوا بالعهد ، ويؤمنوا بالقرآن ويطرحوا التزييف وخلط الحق بالباطل جانبا .

وبأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ويدخلوا فى صفوف المؤمنين (واركعوا مع الراكعين) ويتخلوا بذلك عن الكبرياء والرياسات واتباع ما أترفوا فيه .

وبأن يستعينوا على التغلب على الوقوع فى اتجاه المادية فى الحياة. وفى اتباعهم لاهواء النفس فى الزعامة ولشهواتها فى الاستغراق فى الملذات ، ثم فى نقلتهم الى خط الايمان بالله وحده ، والتحرر من سيطرة الانانية وطغيان المادية .. أن يستعينوا بالصبر ، وبالصلاة معا .

وأضاف الى الصبر الصلاة ، رغم أنه طلبها من قبل مع الزكاة ، والاندماج عن طريقهما فى صفوف المؤمنين .

فالوضع لبنى اسرائيل الكافرين والطغاة الآن عن طريق المادية وضع يتطلب الاحتمال والصبر منهم فى التحول من وضع التبعية الى المادية ، الى السيطرة على النفس وأهوائها وشهواتها . فهو وضع تسود فيه المشقة النفسية ، لانه انتقال من النقيض الى النقيض .

ولكن القرآن — لما لمنزلة الصلاة من أثر فى ابعاد السيطرة المادية ، وبالتالى فى تحرير النفس من طغيانها الذى يتمثل : مرة فى الميل الى الرياسة ، وأخرى فى الاستغراق فى الملذات الحسية ، يضيف الصلاة الى الصبر هنا لمضاعفة شأن التغلب على المشقة النفسية القائمة فى الوضع الموجود حينئذ بين الاسرائيليين .

وفيما جاء فى تقرير عظم الصلاة هنا فى قوله : « .. وانها لكبيرة الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهموانهم اليه راجعون » .. لينبىء عن أن مباشرة الصلاة وهى العامل الاساسى فى التحول النفسى من ترك النفس فى التبعية المادية الى رفع النفس فوق مستوى هذه التبعية أمر يشق كثيرا على النفس الطاغية والمستغرقة فى التبعية المادية . فهى أشبه بنفس « مدمنة » ليست لها ارادة على ممارسة ما يخرجها من ادمانها، وهى لا تقبل على هذه الممارسة الا بشق الانفس وكارهة غير راضية .

أما النفوس الاخرى — وهى عادة نفوس الضعفاء من الفقراء والرعايا والاتباع للاثرياء الذين لا يملكون من المتع المادية ما يجعلهم طغاة

أو يجعلهم أشبه بالمدمنين — فلا تشق عليهم مباشرة الصلاة . لان ضعفهم فى الاقتناء والترف والوجاهة والجاه يجعلهم أقرب الى المصدقين باليوم الآخر وبلقاء الله فيه . أى يجعلهم قريبين الىالعودة الى الايمان بالله والخلاص من التبعية المادية فيؤمنون بالآخرة كما آمنوا بالله وحده .

والفريقان : — من تشق عليه الصلاة ، ومن لا تشق عليه — هما من بنى اسرائيل : كبراؤهم وزعماؤهم والمترفون فيهم وأصحاب الجاه منهم يمثلون الفريق الاول . والفقراء الضعفاء ، غير أصحاب الحظ الموفور فى المتع واقتنائها ومباشرتها ، والبعيدون عن الحكم والرياسة ، يمثلون الفريق الثانى .

والآية اذن فيما تقول : « واستعينوا بالصبر والصلاة » .. تطلب الى جميع بنى اسرائيل عامة فى انتقالهم من الكفر برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام الى الايمان بها ، ومن العنجهية المادية فى الزعامة ومتع الحياة وزخرفها الى الاسلام ، حتى يكونوا فى صفوف المؤمنين : « واركعوا مع الراكعين » وليسوا فوقهم ، أو فى عزلة ونفرة منهم .. تطلب اليهم ، ان يستعينوا بالصلاة بجانب الصبر والاحتمال .

... ثم فيما تقوله بعد ذلك : « وانها لكبيرة » فى وصف مباشرتها . تقوله بالنسبة للمتكبرين والمتعجرفين من أصحاب الترف والرياسات فى اسرائيل على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

... وفيما تستطرد فيه بعد هذا من قولها فى صورة الاستثناء : « ... الا على الخاشعين . الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون » .. تقصد به الفريق الآخر من بنى اسرائيل الذى لم يكن تأثره بالمادية وبالاتجاه المادى فى الحياة من القوة . على نحو تأثر الكبراء والسادة والأحبار منهم ، وهو ذلك الفريق الضعيف عادة فى المجتمع بسبب قلة حظه فى الحياة المادية ، وبعده عن الرياسات ، وشرف الاسرة أو القبيلة ، وهو مع ذلك كافر أيضا بالرسول ورسالته تبعا للوجهاء فى كفرهم .

وليس بسليم — فى التفسير لهذا الاستثناء — اذن ان يقصد به المؤمنون من أمة الرسول عليه الصلاة والسلام . لانهم بايمانهم بالله وحده وباليوم الآخر يؤمنون ويوقنون — ولا يظنون فقط — بلقاء الله فى الآخرة وبالرجوع اليه بعد البعث .

فالوصف لهذا الفريق بأنهم : « .. الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ، وانهم اليه راجعون » وهو كناية عن تخلخل الاتجاه المادى فى حياتهم وعدم سيطرته عليهم ، منهم أقرب الى الايمان باليوم الآخر وبلقاء الله .. يشير فقط الى أنهم من الكافرين غير المتعنتين . ولذلك يسهل عليهم التحول .

و « الصلاة » اذن هنا — فى توجيه القرآن لبنى اسرائيل — هى كبيرة وشاقة على المتعنتين ، من الوجهة النفسية وحدها . وهى كذلك من الوجهة النفسية وحدها يسيرة ومذللة على غير المتعنت من الكافرين الاسرائيليين برسالة الرسول عليه الصلاة والسلام . والصلاة اذن من حيث الركوع والسجود والأداء البدنى لا تنطوى على مشقة . والمشقة

او عدمها هى فى الاقدام عليها . اذ الاقدام عليها معناه التنازل عن وضع، والنقلة الى وضع آخر : اجتماعى ، واقتصادى مادى .

• • • • • • •

● وعن طريق الصلاة — لاهميتها فى تخطيط اتجاه حياة الانسان — لا يميز بها المؤمن عن المنافق والكافر فقط ، وانما نتيجة أدائها فى وعى هى النصر الابدى للفرد والمجتمع . بينما أداؤهـــا فى رياء لا يأتى الا بالضلال والحيرة فى سبيل الحياة .

والذى يؤديها فى وعى تام هو المؤمن .

والآخر الذى يباشرها فى رياء هو المنافق .

أما الكافر فهو لا يؤديها ، وانما يستهزىء ويسخر بمن يؤديها ، وهو ليس الا ذلك المادى فى حياته الذى تخلى عن ارادته وحريته ليقع تحت الاغراء والفتنة بالمتع الحسية . ونهاية أمره — سواء أكان فـردا أم مجتمعا — هو القضاء على ذاته بفعل نفسه .

١ — يعد الله المؤمنين بالدفاع عنهم والوقوف بجانبهم ونصرهم حتما، وهم أولئكم الذين ان تمكنوا فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر :

« ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور . اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير .

« الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا : ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومســاجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقــوى عــزيز » .

« الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور » (١٠) .

ويعدهم كذلك بسعة الرزق وزيادة الفضل ، ان لم تصرفهم التجارة والبيع والشراء عن مباشرة الصلاة فى وقتها ، وايتاء الزكاة فى حينها :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيهـا بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة، وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغـيـر حساب » (١١) .

... فيعد الله المؤمنين هنـا بالنصر مرة ، كما يعدهم بزيادة الفضل وسعة الرزق مرة أخرى ، وهم اولئكم الذين يرسبون فى أعماق نفوسهم حقيقة الالوهية فى وحدتها ، وفى جلالها وفى كمالها ، بحيث لا يستطيع الاتجاه المادى — ان تمثل فى الجاه والسلطان مرة ، أو فى كسب المال عن طريق التجارة مرة أخرى — أن يخفف باغرائه وفتنته فاعلية ما ترسب فى نفس المؤمن عن تلك الحقيقة الالوهية . فـلا التمكن فى الارض بمغر لهم ، ولا التجارة والبيع والشراء بملهية لهم عن ذكر الله وجلاله فى الصلاة حين يؤدونها فى وقتها دون تأخير او كسل .

٢ — كما يصف المنافقين ويعرفهم عن طريق الصلاة وحدها، فيما تذكره الآية القرآنية الكريمة :

« ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ،
« واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يرأءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا .
« مذبذبين بين ذلك ، لا الى هؤلاء ، ولا الى هؤلاء ،
« ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » (١٢) .
... فالمنافقون ليسوا فقط مذبذبين بين الكافرين صراحة والمؤمنين حقا . ولا ينتمون فى واقع الامر الى اى من الفريقين ، بل يتجهون الى هؤلاء ان كانت لهم منفعة مادية . والى أولئكم ان كانت لديهم منفعة مادية اخرى : « الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا : ألم نكن معكم ؟ وان كان للكافرين نصيب قالوا : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين ؟ » . بل امارتهم الحقيقية الواضحة أنهم اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى .
ذلك لان الصلاة فى حقيقة امرها وصحة أدائها الفصل بين الايمان وما عداه من نفاق أو كفر .. فالمؤمن فى حقيقته يقبل فى مسرة وفى شوق الى لقاء المولى عز وجل على الصلاة لانها هى مجال اللقاء النفسى .
أما الكافر فلا يقبل اطلاقا بل يرفض ويستهزىء بمن يؤديها .
والمنافق اذا — لانه يريد أن ينتفع انتفاعا ماديا من المؤمنين والكافرين معا — ليس لديه الدافع النفسى للاقبال على الصلاة . ولكنه لا بد أن يصلى حتى يستمر فى منفعته من المؤمنين كواحد منهم فى ظاهر الأمر ، فيقبل عليها فى كسل وتراخ .
٣ — وبالاضافة الى هذا وذاك فان القرآن لا يحدد الكافرين من موقفهم من الصلاة . فأمرهم واضح تجاه الايمان بالله وحده . وهو الرفض . ولذا كل ما يخص الايمان بالله وحده فهم يستخفون به تقليلا لشأنه ، وخداعا لانفسهم بصحة مسلكهم . وانما يطلب من المؤمنين عدم اقامة علاقة ولاء ومودة بينهم وبين الكافرين ، ويبرر ذلك بأن هؤلاء يستهزئون بدين المؤمنين ، وبوجه خاص يسخرون من الصلاة عند أدائها والنداء اليها :
« يا أيها الذين آمنوا ! :
« لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ، والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين .
« واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون » (١٣) .
... والكافرون يسخرون بوجه خاص من الصلاة . لانها تكاد تكون كل شىء يميز بين صحيح الاتجاه فى الحياة : فى النظرة والسلوك ، وخاطىء السبيل فيها ، فى النظرة والسلوك كذلك .
ولا ريب بعد ذلك ان نداء القرآن الى المؤمنين فى قوله تعالى :
« يا أيها الذين آمنوا :
« اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون .
« فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ،

واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (١٤) .

... هو نداء يرتكز على قيمة الصلاة فى الفصل بين الاتجاه الصحيح والاتجاه الآخر الخاطىء فى النظرة والسلوك معا فى الحياة . ولذا كان تقرير الآية الاولى من هاتين الآيتين بأن الاستجابة الى هذا النداء « خير » : « ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » كما كان ربط الامل فى الفلاح ، فى السعى ومباشرته بعد أداء الصلاة فى الآية الثانية ... وهذا وذاك من النتائج المتوقعة للمسلك الصحيح وهو مسلك الايمان بالله وحده .. مسلك الصلاة والالتقاء فيها مع الله جل جلاله . والحرص على استحضار جلاله دوما ، فى كل صلاة لا يتأخر بها عن وقتها أبدا .

• • • • • • •

● ولكى لاتفتر حيوية الفاعلية للصلاةفى حياة المؤمنبالله وحدهينصح القرآن الكريم ـــ بجانب ما تنصح به السنة النبوية من الصلاة النافلة وراء الصلاة المفروضة ـــ بذكر الله فى كل وضع وحال للانسان . فهو يوجه الى الرسول عليه الصلاة والسلام قوله :

« واذكر ربك فى نفسك ، تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول ، بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين » (١٥) .

... ويطلب اليه عليه الصلاة والسلام أن يكون قدوة للمؤمنين فى ذكر الله ، فى غير الصلاة الفريضة والنافلة ، فى غير جهر وعلانية ، وفى بداية النهار وآخره ، غير غافل لشأن هذا الذكر وأثره على الايمان بالله وحده وحيوية فاعليته فى حياة المؤمن .

كما يوجه الى المؤمنين النداء :

« يا أيها الذين آمنوا !

« اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا .

« هو الذى يصلى عليكم وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما . تحيتهم ، يوم يلقونه ، : سلام ، وأعد لهم أجرا كريما » (١٦) .

... وهو نداء يوصى فيه بذكر الله كثيرا ، دون تقيد بوقت اوبوضع للانسان ، كما يوصى بتسبيح الله وتنزيهه عن الشرك فى بداية السعى ونهايته ، وهو أول النهار وآخره . حتى يكون السعى مثمرا ، وبعيدا عن انحرافات الشرك والمادية .

وهذه الغاية التى تترتب على ذكر الله كثيرا ، هى التى تذكرها الآية الاخرى بعد آية النداء : « هو الذى يصلى عليكم ، وملائكته ، ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما » . فصلاة الله على المؤمنين هى رحمته بهم فى أن صاروا مؤمنين به وحده ، وغير ضالين فى طريق المادية واغرائها ، وما لهم من عمل او سعى لا ظلم فيه لاحد حتى لأنفسهم . وبذلك لا تمسهم ظلمات المادية فيتخبطون فى السير والحركة ، او ينحرفون فى تحصيل ما يحصلونه من رزق الله وفضله فى نهارهم .

واذ يطلب القرآن هنا فيما قبل من رسول الله عليه الصلاة والسلام من ذكر الله فى أول النهار وآخره ، ويطلب الآن من المؤمنين ان يذكروا الله كثيرا دون تحديد لوقت معين ، على أن يسبحوه فى أول النهار

وآخره . . فإن التسبيح : أولا : هو ذكر الله جل شأنه ، وذكر له بالصفة المميزة له تماما عن كل موجود سواه . وهى صفة « الوحدة » : وثانيا : تخصيص اول النهار وآخره ، كى يستعين الانسان بالله — عن طـــريق ذكراه على عمله فى بدايته . وكى يشكره عن هذا الطريق كذلك على توفيقه اياه فى نهاية العمل .

ولا يقصد القرآن اطلاقا من ذكر اول النهار وآخره هنا وهناك تحديد وقت لذكر الله . كأوقات الصلاة الفريضة مثلا . اذ ذكــــر الله مطلوب فى غير زمان ومكان وفى أى وضع للانسان ، كى يبقى المؤمن فى حيوية ايمانه بالله وحده .

وفى آيات أخرى من القرآن الكريم نجد هذا واضحا فى قــــوله تعالى :

« ان فى خلق السموات والارض ، واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما ، وقعـودا ، وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والارض ، ربنا ما خلقت هــــذا باطلا ، سبحانك ! فقنا عذاب النار » (١٨) .

وفى قوله أيضا :

« فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبكم ، فاذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة . ان الصلاة كانت على المؤمنين كتـــابا موقوتا » (١٩) .

. . . فيصف فى قوله الاول الذين يذكرون الله فى أى وضع لهم وفى اى وقت بأنهم : أولو ألباب ، ممـــا يدل على العناية بذكر الله فيمـــا وراء الصلاة كذلك . كما يوضح القول الثانى مطلوب القرآن من المؤمنـــين فى أن يذكروا الله فى كل وقت ووضع . ولا يغير هذا المطلوب ان الذين يوجه اليهم من المؤمنين كانوا فى شدة ، هى شدة الاشتباك فى قتـــال مع الاعداء . لان الشدة اذا استدعت ذكر الله كثيرا فمعنى ذلك : ان ذكر الله له أثر فى حياة الانسان ، على نحو ما للصلاة من اثر فى هـــذه الحياة . وهنا يكون النداء للمؤمنين — مقيدا أو مطلقا عن الوقت — بذكر الله ، بجانب الصلاة ، هو لاستمرار « حيوية » الحقيقة النفســـية ، وهى حقيقة الايمان بالله وحده التى تترسب فى نفس المؤمن عن طريق الصلاة . اذ ليست الصلاة الا ذكرا لله جل شأنه فى وحدانيته ، وفيما له من صفات تدفع المؤمن به الى القربى منه والتوجه اليه فى كل عمل ، لصالح نفسه ومجتمعه .

وصورة ذكر الله هى كما جـــاء فى القرآن الكريم عندما يطلبه من الرسول عليه الصلاة والسلام فى غير جهر وعلانية ، وهى ما يجب أن ينهج المؤمنون نهجها : اذ المطلوب تأثر النفس بالمولى سبحانه وتعالى عندما يذكر جـــل جـــلاله على نحو ما تصور الآية : « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم » (٢٠) .

ولا شك أن تلاوة القرآن صورة واضحة لذكر الله ، ولكن من غير

أن يصحبها ما يخرجها عن أن تكون ذات فعالية .

• • • • • • • •

● والمسجد لكى تبقى للصلاة أثرها ولذكر الله فعله يجب أن ينحى فيه ذكر أى موجود سوى اللـــه تعـــالى . يجب الا يشرك فيه غير اللـــه من انسان ، مهما كان وضعه ومهما كانت صلاحيته . اذ ذكر اى انسان بجانب الله فى بيت الله من شأنه أن يصرف قليلا او كثيرا التركيز على تصور الحقيقة النفسية لوحدة الله سبحانه وترسيبها فى نفـــوس المؤمنين .

والشرك بالله ليس الا رفع ما عدا الله فى مستوى جـــلال الله وقدسيته ، والا صرف القلوب وأعماق النفوس عن أن تعى الحقيقـــة الالهية وعيا كاملا وواضحا : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال ، لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيـــه القلوب والابصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ، ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب » .

هذا وضع بيت الله ، وهؤلاء : هم المؤمنون الذين وعدوا بالنصـــر ابدا ، على شهواتهم وأهوائهم وعلى أعدائهم . وهذه هى الصلاة التى أعدتهم للنصـــر . وهذا هو ذكر الله الذى زاد فى طاقتهم على التغلب على صعاب الحياة ومشاقها .

وبهذا تكون الصلاة ذات صلاحية فعالة وعميقة فى تجربة المصلى فى صلته بالله وعبادته اياه وحده . وبالتالى ذات اثر قوى فى تحـــويل النظرة الاسلامية الى المادية والشرك الى حقيقة نفسية يصدر عنهـــا المؤمن فى الابتعاد عن المادية والركون الى الله وحده فوق المتع الحسية ومغرياتها .

« الصـــلاة الصـــلاة ، وما ملكت ايمانكم لا تكلفوهم مالا يطيقون » . تلك وصية الرسول عليه الصلاة والسلام فى مرض موته للمؤمنين ، أراد أن يدلهم فى اختصار ما به وجودهم ، وعزتهم فى حياتهم .

---

(١) النساء : ١٠١

(٢) النساء : ١٠٢ ، ١٠٣

(٣) وعن أبى أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « جعلت الارض كلها لى ولأمتى مسجدا وطهورا ، فأينما أدركت رجلا من أمتى الصلاة فعنده مسجده وعنده طهوره» رواية أحمد فى مسنده .

(٤) هود ١١٤ (٥) الاسراء ٧٨ (٦) البقرة ٢٣٨

(٧) العنكبوت ٤٥ (٨) مريم ٥٩ ، ٦٠

(٩) البقرة ١٥٣ — ١٥٦

(١٠) البقرة ٤٠ — ٤٦

(١١) الحج ٣٨ — ٤١ (١٢) النور ٣٦،٣٧،٣٨ (١٣) النساء ١٤٢ ، ١٤٣

(١٤) المائدة ٥٧ ، ٥٨ (١٥) الجمعة ١٠

(١٦) الاعراف ٢٠٥ (١٧) الاحزاب ٤١ — ٤٤

(١٨) آل عمران ١٩٠ ، ١٩١ (١٩) النساء ١٠٣

(٢٠) الانفال ٢ — ٤



للأستاذ : فاروق منصور

لن نحاول هنا تقديم دراسة تاريخية ، ولن نتابع الفكر الاسلامى فى مسار انتشاره ، أو عصور ازدهاره وانكماشه ، ولا متابعة مراحل حركته وجموده .

ان مثل هذه الدراسة أمر بالغ الأهمية ، ونقصها يعد تفريطا فيما يجب الا نفرط فيه ، أو نقصر عنه ، تفهما لحياتنا ووعيا لاحتياجاتها ، وحفاظا على وجودنا وادراكا لمتطلبات هذا الوجود .

ولكن هذه الدراسة التى تنقص حياتنا الفكرية ، برغم ما لها من أهمية ، وما يمكن أن تحققه من فوائد ، يجب أن تؤجل مؤقتا لنوجه العناية الى ما يحتاج الى العناية فعلا ، ويتطلب الدراسة السريعة ، حفاظا على ما هو موجود ، واحتياطا لما قد يقع ، واستعدادا لما يمكن أن يكون .

فالفكر الاسلامى اليوم لا يحتاج الى التاريخ له ، أو الكتابة عنه قدر ما يحتاج الى تفهم واقعه ، وادراك حقيقته ، وهو لا يحتاج الى بحوث فيه ، ولكنه يحتاج الى بحوث له عن مخرج من أزماته ، ومحاولات لتعديل الفهم له والمعرفة بقضاياه ، والعناية بتشعب مشاكله ، حتى يمكن أن ينطلق الى حيث يكون أكثر فائدة ، وأجدى نفعا ، الى حيث نستطيع أن نستلهمه فنلهم به ونلهم ، نتطور بمبادئه ونغير ونطور الحياة حولنا بضوئه ومعطياته حين ذاك يكون قد خرج من أزمته ، ووضع فى موضعه ، متمشيا مع طبيعته ، صالحا لاثراء الحياة كما كان ، وكما يجب أن يكون :

[عربى الدعوة والسمات فليكن عربى الجند والدعاة !]

وأول علامة على الطريق ، أن نحدد : **أن قيمة هذا الفكر فيمن يحمله** وأنه لا قيمة له ما لم يحمله قوم توافق طبيعتهم خصائصه ، وتتمشى **غرائزهم مع ما ينحو اليه ، وتتسق قيمه مع مفاهيمهم** ، قوم يؤمنون بأن هذا الفكر صورتهم ومزاجهم ونفسيتهم ، وانه انعكاس ايمانهم واسهام عقولهم فى أوج خصوبتها ، وهو حياتهم يوم يكون لهم حياة ، ووجودهم اذا أرادوا لهم وجودا ، فمن هؤلاء ؟ وأين هم ؟

ان أقدر الجماعات على حمل تلك الأمانة أولئك الذين حملوها يوما عندما آمنوا بالاسلام دينا ، وبالعروبة وعاء لهذا الدين ، وبهذا الفكر الاسلامى طريقا للتفاهم مع البشر والالتقاء الحضارى بالبشرية .

ان أجدر الناس بحمل أمانة الفكر الاسلامى واحيائه بعد سكونه ، وتحريكه بعد جموده هم العرب ، الذين بشروا به فنجحوا ونجح ، وفكروا فى اطاره فأعطوا الانسانية من خلاله ما أخرجها من ظلام عصورها المظلمة وكان دواء للكثير من أمراضها ، استطاع أن يجنبها الزلل ، ويزيل القلق ، ويوفر لها الأمن والرعاية ، ويحقق الرشد والهداية .

واذا قلنا ان العرب الذين حملوا الاسلام ، وأسهموا بفكرهم فى تكوين الفكر الاسلامى مهتدين بالقرآن والسنة ، ومقدمين خلاصة ايمانهم والتزامهم فكرا وفنا وعملا ، هم اليوم أجدر الناس بحمله وتقديمه وتطويره فاننا لا نرشحهم بحق الميراث ، ولا نسلم لهم بحق الارث ، وان كان هو حقهم وهم أصحابه ، ولا بعصبية الدم ، وان كانوا قد بذلوا دماءهم رخيصة فى سبيله ، ولكن نرشحهم بخاصية الصلاحية ، وميزة التلاؤم مع هذا الفكر الاسلامى ، والقدرة على التوافق معه ، والتوفيق فى رعايته وحمله وتقديمه للآخرين .

نرشحهم لأهليتهم فى القيام بهذا العمل ، ولأنهم أصحاب تجربة وأصحاب تراث .

ان الفكر الاسلامى عربى الدعوة ، أساسه القرآن تنزل بلسان عربى والشريعة عيون الفكر الاسلامى فى كل علومها ، وهى أيضا عربية المعنى واللفظ ، وعربية الفكرة والروح ، لأن كل تشريع مصدره كيان بشرى أو تجمع جاء ليصوغ قيمه ، وينظم علاقاته .

ولقد نزل القرآن عربيا ، وفى بيئة عربيـــة ، وبين قوم هم ذروة العروبة جنسا ولغة وتقاليد .

واذا سلمنا بهذا وارتضيناه ، فاننا نمضى قدما نتحسس الــــداء ونشخصه ، ونحدد الدواء ونستخدمه ، نحدد واقعا ، ونرسم مســـاره ونتوخى غايته .

نعم .. ولكنهم عاشوا عربا .

ويقول قائل أليس فى ذلك اجحاف بالبعض ، وظلم لهم ؟ ألم يكن لكثير من الاعلام المسلمين جهود فى مجال الفكر الاسلامى ولم يكونوا عربا ؟ أليست هذه نعرة عنصرية ؟ وتعصبا لجنس ؟ وديننـــا يمقت العصبيــــة ورسولنا يقول : « ليس منا من دعا الى عصبية » ؟

نعم : لقد أسهم المسلمون من جنسيات كثيـــرة فى تطوير الفــكر الاسلامى حتى كان لنا هذا التراث الضخم العظيم ، وفى امكاننا أن نحصى المئات من الأفذاذ الذين قدموا روائع الفكر الاسلامى ولم يكونوا عربا وأن ايمانهم بالدين كان الدافع لهم ولولا هذا الايمان لما قدموا شيئا ..

نعم : **ان ديننا لا يعرف العصبية وليس من ديننا بغض العروبـة ، ولكن من ديننا حبها ، وليس من ديننا ذل العرب ولكن عزهم .**

نزل القرآن عربيا ، وفصله الله عربيا لقوم يعقلونه ، والمسلـم به أننا لا نستطيع أن نعقل شيئا لا نعقل لغته ، أو نفهم علما لا نفهم الكلمات التى صيغت بها قوانينه وقضاياه ، وكتبت بها بحوثه ودراساته .. فالمفكر الذى أنتج فكرا اسلاميا لم يفعل ذلك الا فى ضوء ثقافة عربيـــة تلقاهـــا ، وكتابا عربيا تفقه منه وبه ، ومجتمعا عربيـــا عايشه أو عايش قيمــه وأنظمته ..

فلقد كانت الدولة الاسلامية فى واقعها وفى صورتها العامة والخاصة تمثل حضارة عربية ، وذوقا عربيا ، وكانت العروبـــة هى البوتقة التـــى انصهرت بداخلها ثقافات وعلوم ، وكانت العربية هى الوعاء الذى ضـــم بداخله لبا اسمه الاسلام أو الفكر الاسلامى ، فكان العالم المسلم عربى التفكير والقيم ، وكلما زادت معايشته للعروبة لغة وناسا زاد توفيقــه ، وتمكن من التعبير فى دقة واقتدار ، لا من حيث اللفظ أو الاسلوب الكتابى فحسب ، ولكن من حيث المنهج العلمى أيضا ، فان أفذاذ العلماء المسلمين قد أدركوا جوهر فكرهم ، وأدركوا الطريق الى بلوغ غايتهم ، فآمنوا بأنه لا حصيلة فكرية لهم ، ولا نتاج فكرى لعقولهم ، ما لم تكن هذه العقول عربية التلقى عربية العطاء ، عربية فيما تستقبله فترفض منه ما خالف المـــزاج العربى ، أو تخضعه لهذا المزاج ، وكانت عربية فيما ترسله ، حتى اننـــا

نستطيع أن نحس بالعقلية العربية واضحة ومتميـــزة لو قرأنا لبعض هؤلاء الأفذاذ مؤلفات بلغة غير العربية .

تلك قضية يجب أن تصفى فى البدء ، وأن نسلم بأنه لا عصبيـــة ولا عنصرية بيننا ، فالاسلام يعز العروبة ، والعروبة حصن الاسلام ، والعرب هم أصلح وأجدر من يحمل هذا الدين ، ويتفهم هذا الفكر وينقله ، والمجتمع العربى هو أيضا البيئة الصالحة لهذا الفكر القادر على انمائه واثرائـــه ، والدليل على ذلك أن الفكر الاسلامى قد عاش عربى المناحى والأساليــب والسمات فى بيئات غير عربية ، وفى نفس الوقت مات الكثير من الدعوات والفلسفات التى حاولت أن تقوم فى العالم العربى ولم تعش طويلا لأنهـــا لا ترتبط بواقع ولا تماشى بيئة وخصائصها عربية ، ولذلك نجح الاســـلام وفشل ما عداه فى تحقيق وجود كامل بدون قوة تسنده .

الفكر الاسلامى وتحديات العصر :

فالفكر الاسلامى فى ضوء فهمنا العربى له يمثل حضارة وتراثا وقيما وبمقدوره أن يقدم اسهاما ايجابيا لرقى البشرية وتقدمها ، كما أنه فـــى مقدورنا فى ضوء ايماننا بالاسلام ، وتفهمنا له ، والتزامنا به أن نأثر فى مسار البشرية اليوم .

والأمر يتوقف علينا فى أن ندرك حقيقتنا فنعى من نحن ؟ وماذا نريد ؟ وماذا يمكن أن نقدم ؟ وكيف نقدم ما نستطيع ؟

والأمر يتوقف ثانيا على معرفة ديننا وتراثنا وفكرنا فى ضوء ظروفه التاريخية والبيئية .

والأمر يتوقف ثالثا : على معرفة عالمنا المعاصر ، واكتشاف حاضره ، ومحاولة تفهم مستقبله ، ليس على أساس التخمين والحدس ، ولكن على أساس البصر العلمى ، والبصيرة التجريبية .

تلك أمور ثلاثة يتوقف عليها نجاحنا ، أن نعرف امكانياتنا ، وطبيعتنا ، ومجال تأثيرنا لنحدد نوع العطاء وحجمه ولنحدد له المعيار الكمى والقيمى ، بهذا نسترد مكانتنا ، ونقوم بدورنا الذى نصلح له ، والذى اختارنا الله له ، وحملنا أمانته فى قوله تعالى : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمـــــرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) وقوله جل جلاله : ((ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)) . وقوله تبارك وتعالى : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا .))

هذا هو ديننا ، وتلك هى رسالتنا فى الحياة ، ارتضاها لنا الله ، وآمنا بالقيام بها ، واذا كنا نريد حقا أن نقوم بدور فعلينا أن نبحث أولا ما يواجه فكرنا الاسلامى اليوم من تحديات عصرية ، وما يوجه اليه من أسئلة كثيرة ، تحاول امتحان قدرته الحضارية ، وتفهم مقدرته على العطاء اليوم وغدا .

مع ملاحظة أن هناك كثيرا من الشكوك عند موجهى الأسئلة بل ربما كان من الأصوب أن نقول ان هناك رغبات أو أمنيات سوء بالنسبة لدورنا أكثر من الاهتمام بالحصول على المعرفة .

ان أصحاب الأسئلة فى الغالب ــ وهم من أعدائنا ــ لا يهمهم المعرفة المجردة ولكنهم يسعون لنتيجة يريدون فرضها هى قولهم بافلاس الحضارة الاسلامية ، وعجز الاسلام عن القيـــام بدور حضارى جديد وهم يعلمـــون بكل تأكيد ، خطأ هذا القول ، ولكنهم يبذلون الجهد لاقــــراره كبديهيـــة ، ويريدوننا أن نرتضى أنها من المسلمات .

انهم لا يريدون أن يؤكدوا لأنفسهم عجز الاسلام كدين وفكر وتراث عن اثراء الحياة ، وخلق الحضارة ، وتغذية ثورية الانسان ، وخدمـــة نضاله وحفز جهده . فهم يعلمون أن الاسلام يملك قوته فى ذاته ، ويملك تاثيره من داخله . وهم أذكى من أن يكرروا ، جهل النعامة ، وهى تخفى نفسها من الصياد .

ان ما يريدونه تقوية الشعور لدينا بالعجز . وتعميق ما فى نفوســـنا من احساس بالنقص والتخلف ، فنسلم ــ فى وجود الشعور بالعجـــز والنقص ــ بافلاسنا حضاريا ونؤمن بعجز فكرنا الاسلامى عن تقديم أى شىء ذى قيمة ، فى عصر أزدهار العلوم والفنون ، وفى عصر تصنـــع الالكترونات حضارته ، وتبنى مجده فنلقى بثوبنا عنا ، ونرمى قيمنا بعيدا ، ما دمنا نسلم بأنه لا جدوى من ورائها ، ثم نجرى وراء بريق القوى الذى يخطف أبصارنا ، ويهز عقولنا فى عنف ، وحينئذ يتم لهم عمليا القضاء علينا لأنه فى غيبة الاسلام دينا وشريعة وفكرا وأسلوب حياة يموت المسلمون . وفى غيبة الاسلام عقيدة وفكرا وسلوكا يموت العرب ، وتموت العروبة ، كما أن فى ابعاد العرب عن الاسلام ضعف الاسلام وتوقفه المؤقت عن القيام بأى اسهام حضارى ، فمعركة القضاء على العروبة والاسلام تتمثل أساسا فى احراز نصر فعال لا يمكن أن يتحقق الا فى فصل العرب عن الاســـلام وابعاد الاسلام عن الجماهير العربية والمزاج العربى والبيئة العربيـــة . ونحن هنا لا نحاول فلسفة الأمور ، ولا نزعم أننا أتينا بجديد ، ولكننا نقرر واقعا ونقوم بعملية استقراء لتاريـــخ هذه المنطقـــة التى نعيش فيهـــا ، واستقراء تاريخ الغزو والاستعمار الذى تعرض له الوطن الاســـــلامى وتعرضت له البلاد العربية .

ان دراسة التاريخ والمخططات الاستعمارية سواء ما كان منها دوليا أو عن طريق الارساليات يعطينا ما يؤكد سلامة هذا القول ، انك لكى تقتل العروبة والاسلام فعليك أن تنجح فى الفصل بينهما ، فكل منهما لا شىء فى غيبة الآخر ، وهما كل شىء اذا التقيا .

انها تذكرة . . فهل من مدكر ؟

إن هذه الحقيقة ثابتة ، والمعركة التى يواجهها الاسلام أيضا واحدة تختلف باختلاف الأزمـــان ، والظروف ، والأشــخاص ، وتتكرر هى بنفس الدوافع ونفس الأهداف مع اختلاف الوسائل أحيانا ، وفى أحيان أخـــرى

بالوسائل نفسها . ومكان المعركة أيضا لا يتغير ، وهو الميدان الذى لو تم فيه النصر لتوفرت ضمانات استمراره . ان المكان دائما هو الأرض العربية إن الأرض العربية تعيش فى عقول أعدائنا ، وتلهب خيالهم . لا لفراغ عقولهم ، أو ارتمائهم فى خيالات مريضة . أو لأن الرومانسية قد صرعتهم . ولكن لأنهم يتفهمون واقعا ويدركون حقيقة : أن معركة تصفية الحضارة العربية لا بد أن تتم على الارض العربية وان نزول الستار عن الفكر الاسلامى لا بد أن يتم هنافى الشرق العربى .

اننا نكتب دائما فى سذاجة أن « ألف ليلة وليلة » تغزو عقول الأجانب وانهم لا يعرفون الشرق الا بها . وبالأساطير التى تسحرهم عن لياليه ، وعن الطرب والترف والقيان والنساء ، ونقول فى سذاجة إن « كتاب الأغانى » للأصبهانى يمثل الحياة العربية ، وهو قول ساذج أيضا ومدمر فلا هذا ولا ذاك من صادق القول وسليم الرأى .

فى البناء والهدم .. أهداف :

إن كتاب « ألف ليلة وليلة » لا يقدم نموذجا صحيحا للانسان العربى ، فالأسطورة ليست مقياس العقل العربى وليست خاصيته لكن الانسان العربى يتمثل فى الكلمة الواضحة والعبارة المحددة ، واذا كانت اللغة العربية تتميز بكثرة المترادفات وأن للمعنى الواحد أكثر من كلمة تعبر عنه ، فليس معناه أن تظل العبارة العربية فضفاضة أو متأنقة .. ولكن معناه الثراء المعنوى بحيث يكون للكلمة معنى دقيق محدد فى كل حالة وتأخذ الكلمة الطابع النفسى عند السياق ، ونستطيع أن نقول أن العربى يستخدم الكلمة فى قالب صحيح ، وفى جو صحيح أيضا . أى أنه ينقل المعنى والجو النفسى له فى آن واحد ، وهذا من شأنه احداث تاثير أكبر عند السامع أو القارىء ، وهذا يعبر أيضا عن طبيعة العربى ، ومزاجه فى تمسكه بالقوة ، وحرصه على بلوغ الكمال ، وتحقيق قدر أكبر من الوضوح وإصراره على ازالة كل لبس .

حتى أننا نجد أن التورية والكناية والمدح الذى يراد بالذم فى اللغة العربية يخضع لقانون وضوابط محددة وليس عفويا .

كما أن كتاب الأغانى لا يمثل واقعا عربيا ، فالأمة العربية لم ولن تكن سهرات ماجنة ، وقيانا وخمرا ونساء .

والفكر العربى ليس المدح والذم والغزل فى المذكر . انها صور تمثل واقعا مريضا ، وتمثل مزاجا غير عربى ، والانسان العربى سليم المزاج ، سليم الواقع ، فكتاب الأغانى ليس تعبيرا سليما عن العربى وليس عملا عربيا خارقا لأنه يصور أمراض النفس أكثر مما يظهر سلامتها . فلماذا اذا يقبل الأجانب على (الف ليلة وليلة) ؟ ولماذا يمجدون كتابا كالاغانى ؟ ان « ألف ليلة وليلة » تجذب خيال الطفل الى حياة ، وتوجه ذهنه الى منطقة اسمها الشرق العربى ، أو تلك البيئة التى يعيش أهلها حياة حالمة ويجد من يرتادها الكنوز التى تفتح له عندما يملك القوة ، وان هذه الأرض المليئة بالكنوز تنتظر الفاتح القادم من خارج الأرض العربية ، وعندما يتذكر هذه

الأرض ويتعلق بها ، سيحاول أن يفهم كل شيء عنها .. ويتصرف عليها ويعى تاريخ هذه المنطقة من خلال أدلاء يغذونه بفكر معين ، ومن خلال مربين يربونه تربية معينة ، ويعدونه اعدادا خاصا ، لكى يكون غازيا لهذه المنطقة ، ولكى يدرك أن هناك حربا فاصلة لا بد أن تكون فى ذلك الميدان ، هنا بناء الطفل الذى سيكون رجل الغد ، سواء فى الناحية الحربية أو المدنية ، انه يربط الطفل بالمعركة وبأرضها عن طريق ما يمكن أن يخاطب عقلية الطفل ، ويثير شجونه ، ويولد أحاسيسه ، وينمى مشاعره . وهذا هو الجانب الايجابى الهام فى الاعداد لمعركة تصفية الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى والعقيدة الاسلامية ، معركة القضاء على العروبة والاسلام .

أما الجانب الايجابى الآخر فى المعركة فهو تصفية العرب ، بالقضاء على خصائص الانسان العربى .. وذلك بوضعه فى حياة غير عربية ، واقناعه بسلوك غير عربى ، والعروبة ليست رداء ولكنها واقع وحقيقة ، فالعربى هو عربى اللغة والفكر والمزاج والسلوك ، عربى القيم والمبادىء والمشاعر والارادة ، عربى الفهم والتصرف ، ومع محاولة تصفية العرب بسلبهم خصائصهم يتم أيضا تحطيمهم معنويا بغرس الشعور بالعجز فى نفوسهم عندما يعطيهم صورة مزركشة عن ماضيهم ، ويلقى أمام بصرهم بواقع متخلف فاما اغراقهم فى أحلام رومانسية وربطهم سطحيا بماضى خيالى يكتفى معه بالعزاء واما صدمه عن طريق واقع يحطمهم ويجبرهم على التسليم بأن ما يتمسكون به لا قيمة له ولا جدوى فيهربون منه ، وبذلك ينسلخون عن حضارتهم وقيمهم وفكرهم وهو المطلوب .

كان بمقدورهم وعى الحقيقة !!

ان الفكر الاسلامى مطالب اليوم بأن يبرهن عمليا وفى ضوء تأثير حقيقى ملموس على أصالته ، وأن يثبت قدرته على الاسهام فى حركة الجماهير ، وتطوير هذه الحركة وأثرائها بما يصنعه من قيم ، وما يمكن أن يجمع الناس حوله من أهداف ، وما يمدهم به من الهام .. لأن فى قدرة هذا الفكر على الاشعاع والتأثير والتوجيه ، ومقدرته على التجميع والايقاظ والبعث ، يتحقق وجوده ، ويتضح كماله ، وتفهم صلاحيته ولقد أدرك المفكرون المسلمون ذلك منذ البدء ، والقراءة المتأنية لما بين أيدينا من تراث عربى تعطينا الدليل على ذلك ، فمنذ عرف المسلمون التدوين نرى أن الحقيقة واضحة أمامهم والطريق محدد ..

فالمفكر المسلم لم يكن يسود الصفحات لازجاء الفراغ ، أو للظهور بمظهر العالم ، ولكنه كان يعرف قيمة الكلمة ويدرك قيمته وهو يستخدمها ، لذلك استخدموا كلماتهم فى التعبير عن رسالاتهم ، ونقل قيم آمنوا بها ، وآراء التزموا بها ، وضحى الانسان منهم بحياته دفاعا عن كلمته .

بل يمكن القول أن غير الملتزمين منهم بالمبدأ أو الرسالة قد التزموا بأهداف وضعوها لأنفسهم ، حتى المتكسبين بالقول منهم كانت لهم غاية هى ارضاء السلطان أو الحصول على الجاه ، فكانوا كمندوبى الدعاية فى

العصر الحديث . أو مؤلفى الاعلانات وقد تغير شكل المعلن من صاحب سلعة الى صاحب سلطة أو صاحب جاه .

لقد كانت بداية التفكير الاسلامى التزام بالهدف والرسالة ، وايمان بقيمة الكلمة وجدواها . وكان رجل الكلمة يفهم دوره ، ويعرف طريقه . ويعطى التعبير الصادق عن ايمان صادق ، فعاش فكرهم ، وبقيت كلماتهم منارات هدى ونجحت فى تقديم عطاء سخى للبشرية .

كان الصدق والايمان سمات الفكر الاسلامى وكان الصدق والايمان يميز فكر الانسان العربى منذ عرف التدوين وكتب المخطوطات . وكان الالتزام بالهدف والرسالة واضحا ومتمثلا فيما كتب ، وظل الفكر الاسلامى على هذه الصورة فى كل عصور ازدهاره ، وكان فى عصور انكماشه يعمد الى التقوقع ، ويختفى تحت ستار التقليد ، كى لا يخضع أو يذل ، بل اننا نظام أحيانا عصور التقليد عندما نصمها بالتخلف دون دراسة وتحليل واقعها لكشف سر تخلفها .

الفكر الاسلامى فى عصر الألكترونات : الى أين ؟

فاذا ما أدركنا أن سلامتنا تتمثل فى حاضر يرتبط بالماضى ، ويأخذ من قيمه وتراثه ما ينير له الطريق ، واذا سلمنا بأن الاسلام عقيدتنا ، وحياتنا وسلوكنا ، وان الفكر الاسلامى فى عصوره المزدهرة يجب أن يكون منبع فكرنا ومنهل عرفاتنا ، فاننا نمضى لمعرفة مدى اتصالنا بهذا الفكر ، وما مدى ارتباطنا به ؟ وما مدى فهمنا له ؟ وما مدى ما نقترب منه أو نبتعد عنه ؟

نجد أننا نقترب اسما ونتخلف فعلا ، نقترب وهما ، ونبتعد حقيقة ، نقترب أملا ، ونبتعد غاية وأسلوبا .

ان ما نكتبه فى أغلبه بعيد عن واقعنا ، بعيد عن تفهم حقيقتنا وادراك دورنا فى الحياة ، وهو بالتالى بعيد عن التأثير فى هذه الحياة واقناع الآخرين بجدوى ما نملكه ، أو اقناعهم بأن لنا دورا حضاريا يمكن أن ننهض به .

ان فكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات ينقصه الجدية ويفتقر الى الموضوعية ، لا يمثل قيمة ولا يعبر عن هدف ولا يوصل لغاية ، ان فكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات منفصل عن جوهر ديننا وجوهر حضارتنا ، ومنسلخ عن جوهر تراثنا .

وفكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات فكر ممسوخ لا صورة له ولا سمات واضحة تميزه . . وفكرنا الاسلامى فى عصر الالكترونات فكر مريض لا يلائم الواقع ولا يتمشى مع الحياة .

انه فى أغلبه تزجية فراغ وطيش أقلام وتسويد أوراق،انه لمن الغريب أن يكون هذا النتاج هو ثمرة الفكر الاسلامى المزهر والعقلية الاسلامية ذات التراث الفكرى الأصيل ، ان فكرنا يدور فى نطاق ضيق لا يخرج عن الحلال والحرام ، والحلال بين والحرام بين كما يقول نبينا الصادق المصدوق .

إننا نشغل أنفسنا فى قضايا لا يحتاجها عصرنا ونشغل بأمور ليست معروضة للمناقشة أصلا ، ولسنا فى حاجة الى مناقشتها ولكن الافلاس يجعلنا نناقشها ونجادل حولها .

إن الفكر الاسلامى المعاصر يجب أن يخرج من المتاهة التى دخلها يجب أن ينطلق متسلحا بالايمان والقيم وملتزما بالكتاب والسنة والتراث ليرتاد آفاقا أرحب ، وليمهد الطريق أمام نهضة عربية جديدة ، وليفتح الباب لاسهام حضارى اسلامى تحتاجه البشرية ، ويستطيع جيلنا أن يقدمه ، وأن يصنعه ، لوعدنا الى هذا الدين الذى تنزل علينا بالحق ، وحملنا أمانته فى صدق واخلاص .

انه عصر النظريات ، والتحليل ، والبحث !!!

أن عصر الالكترونات هو عصر النظريات العلمية ، والدراسات الجادة القائمة على التحليل والفهم والمناقشة والبحث الجاد الهادف ، وهذا العصر ليس عصر الكتابات الانشائية ، وليس عصر تجميع النقول والنصوص ، انه عصر تفهم النصوص للاستفادة منها ، وليس عرضها للمباهاة بحفظها ، فالعقل الالكترونى أكثر من ذاكرة الانسان ، وليس المهم اليوم أن نردد كم كتابا قرأنا ، أو كم من النصوص نحفظ ، ولكن أن نثبت مدى فهمنا لما قرأناه ، ومدى استفادتنا مما بين أيدينا من نصوص لخدمة قضايانا ولتنمية قدرات الانسان والعمل على ما فيه خيره ، ان مراعاة المصلحة أساس فى الشريعة الاسلامية وخدمة الصالح العام هدف اسلامى .

ان الانسان يعيش اليوم فى كل مكان محاصرا بنظريات ، وتحدد الفلسفات له سلوكه ومساره ، فهو ملتزم بالقضايا ، وملتزم بالمناهج والاهداف سواء فى جده أو مجونه ، فى عمله أو عبثه ، فى حربه أو سلمه فى ايمانه أو يأسه .

إننا نعيش عصرا لكل شىء فيه فلسفة ، حتى الجريمة قد أصبح لها فلسفتها ، فلقد كان اللص فى الماضى لا يعلل اقدامه على السرقة ويجرى هاربا من وجه العدالة ويدارى خجله من الناس عند اكتشافه ، فأصبح اليوم يفلسف السرقة ويرجع جريمته الىاحساسه بالضياع أو القلق أو الى شعوره بالظلم والاضطهاد .

وكانت الحروب لا تعلل ، فالغازى يحرك جيوشه متى أراد ، وحيثما أراد ، فأصبح اليوم يفلسف خطواته ، ويبنيها على أسس عقائدية ، حتى أضحى كل شىء فى عالمنا عقائديا حتى ما هو قائم على هدم العقائد ، وما هو ثائر على النظم والقيود والنظريات يقوم أصلا على أساس عقائدى ، لذلك فان فكرنا الاسلامى يجب أن يلتزم عقائديا ، وأن يلتزم تعبيرنا بهدف ورسالة ، والا انعزل عن الحياة ، وسقط فيما يريده له الأعداء .

وعلينا أن ندرك أن كثيرا من أصحاب الفلسفات فى عالمنا يختلفون فيما بينهم ، وتتعارض مصالحهم ، ووجهات نظرهم ، ولكنهم — وهذا هو المهم — يتفقون على موقف تجاه الاسلام ، أساسه الاحساس بقدرة هذا الدين ، ومقدرته الفكرية على احياء النفوس ، ويدركون أن الفكر الاسلامى قادر على اصلاح المجتمعات ، وتغيير الكثير فيها .. وهم يتفقون أيضا فى الرغبة الأكيدة فى أن يظل هذا الدين مجمدا ، أو محصورا فى قوالب صماء ، وأن يظل أتباعه فى عزلة عن الحياة ، وتظل الحياة بعيدة عن مجال تأثيرهم ، لأن فى تأثير الاسلام كدين وفكر على الحياة ما يغيرها ويفيد العرب ويعز المسلمين وهو كره لهم « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .



سأل القارىء الفاضل السيد عبد العزيز ابراهيم الميمان ــ الدمام ــ السعودية ــ عن فترة اقامة اليهود فى مصر ، منذ دعاهم اليها سيدنا يوسف الصديق ، وعن تعدادهم عند خروجهم منها واشار فى رسالته الى ما ذكره المسعودى فى هذا الصدد ، وشك ابن خلدون فى تقديرات المسعودى وعقب القارىء الفاضل بقوله ... من هذا اختلط علينا الامر فنرجو الايضاح .

* * *

وقد يحسب البعض ان ظروف المعركة تستدعى أن نخصص لها جهدنا كله ، فكرا ، وعملا ، ولكنى أرى انها ظاهرة صحية ان نقلب أوراق الماضى ، وننبش تاريخ اليهود

بعد ان تأكدت صلة الحاضر بهذا التاريخ ، وان الاسرائيليين الذين يحاربوننا اليوم ، انما يعيشون فى صفحات التوراة ، والتلمود ، والبروتوكولات ، ويرتبطون بها

ارتباط العقيدة الراسخة . ومعرفة عدونا ، والبحث فى مكونات فكره ، وخلفياته التاريخية جزء لا يتجزأ من عدة انتصارنا عليه ، ولقد انفق اليهود الفى عام الا قليلا منذ طردوا من فلسطين ، وهم يدرسون عقائدنا وظروفنا جميعا ، استعدادا للعودة اليها ..

وفي رحلة اخيرة الى الولايات المتحدة ، كثيرا ما سمعت مواطنين هناك يسألون فى دهشة : لماذا تحاربون اليهود ايها العرب ، وانتم ابناء عمهم فاسماعيل جدكم الكبير ، وبانى كعبتكم ، هو اخو اسحق الذى انجب يعقوب والاسرائيليين جميعا ؟ وكان ردى على هذا السؤال اننا نحن لا نحارب اليهود ، ولكنهم هم الذين وفدوا الى ارضنا محاربين ، ومعتدين ، ومغتصبين للارض والوطن . واما قرابة اسماعيل من اسحق ، فنحن لا ننكرها ، ولكن اليهود هم الذين انكروا ان ابراهيم الخليل وابنه اسماعيل هما اللذان اشتركا فى بناء الكعبة ، بأمر من الله تعالى حيث توجد الآن ، وكأن هذا الاثر الباقى من اقدم العصور فى مكانه لا يوجد قط !! حتى لقد اضاع مؤلفو التوراة كل اثر لاسماعيل ، وسلالته ، وكأنه لم يوجد الا بالاسم فقط ، بل اضاعوا ايضا اثر عيسو الاخ الكبير والوارث الطبيعى لعهد اسحق ، وكأنه لم تكن له سلالة ، وكل العهد ، وكل السلالة هى ليعقوب الذى سمى اسرائيل .

بل لقد بلغ من جهل العالم الغربى ، ولا سيما الامريكان ، انى سمعت من كثيرين منهم ، ان كل ما تفعله الولايات المتحدة ، هو ازالة اثر من آثار هتلر ، الذى طرد اليهود من فلسطين ، وزرع العرب مكانهم ..

اجل : ان كثيرين يظنون — بفعل الدعاية الصهيونية المضللة — ان هتلر هو الذى اسكن العرب فى فلسطين فى عام ١٩٣٣ بعد الميلاد !!

اذن فنحن في حاجة الى كثير من الجهد للوصول الى الحقائق وايصالها الى اذهان الرأى العام العالمى .. ولنعد الآن الى موضوعنا .

علامات فى الطريق

المرجع الاساسى الذى نعتمد عليه فى معرفة التاريخ اليهودى ، هو القرآن الكريم ، والاشارات التى وردت فيه عن مراحله ، وكذلك ما ورد فى الانجيل عن هذا التاريخ : ثم الحفريات الكثيرة التى تمت فى أواخر القرن الماضى وهذا القرن ، وفكت رموزها واهمها حفريات العراق ، وفلسطين ، ومصر .

وقد تحدثت كتب السماء عن الانبياء ، والرسل : نوح ، وابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، ويعقوب ، ويوسف ، وموسى ، واخيه هارون ، وخليفته يشوع بن نون .. ثم داود ، وسليمان .

وبقى على الحفريات ان تدلنا على مواقيت ظهورهم ، وما اقترن بحياتهم من أحداث . وحتى نقدم خلاصة ما وصلت اليه الحفريات ، فاننا سنذكرها ، ومن أراد توسعا فى البحث والدراسة ، فما عليه الا أن يسأل عن طريق الوعى الاسلامى ، ونحن نجيب بما يسر الله لنا من معرفة ومراجع .

* ولد ابراهيم الخليل فى بلدة « أور » بجنوب العراق فى عهد الملك البابلى زابوم عام ٢١١٩ ق.م (تاريخ التوراة ٢١٦٠ ق.م) وهاجر الى

فلسطين ، التى هى ارض كنعان ، وكان فى الخامسة والسبعين من عمره كما تقول التوراة ، وكانت هذه الهجرة فى الرأى الارجح تبيل عصر حمورابى فى بابل وفى وقت معاصر تقريبا لنهاية الاسرة السادسة عشرة المصرية : وفى عودته من مصر مع هاجر المصرية ولد له اسماعيل ، وبعد احدى عشرة سنة ولد له اسحاق من زوجته العراقية سارة .

انجب اسحق ابنيه عيسو ثم يعقوب حوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م ، وبعد ١٣٠ سنة دعاه يوسف الصديق الى مصر ، وكان بصره قد كف ، وارتد اليه على نحو ما روت لنا السيرة المشهورة : وكانت قبيلة يعقوب أول قدومها الى مصر مكونة من سبعين شخصا فى « رواية التوراة » وقد اقاموا فى اقليم الشرقية ، وحثهم يوسف على الا يتخذوا لهم صناعة الا رعى الاغنام حتى لا يختلطوا بالمصريين . وكان المصريون يكرهون رائحة الرعاة ، وكان اليهود لا يستحمون ، فتظل رائحة الاغنام عالقة بهم . وبهذا فرض هؤلاء الوافدين الى مصر على نفسهم عزلة تجنبهم مشاق العمل مع المصريين فى زراعة أو صناعة أو بناء . والرأى الارجح انهم تركزوا حول مركز « فاقوس » المعروف الى الآن بأرض الشرقية .

* طالت فترة اقامة اليهود فى مصر خلال حكم الهكسوس لها . وهناك رأى يقول ان الهكسوس هم اليهود ، بل الفت رسالة دكتوراه تؤيد هذا الرأى ! ولكنه رأى غير ناضج ، اذ كيف يتاح لآلاف قليلة من البشر ان تحكم شعبا كالشعب المصرى ، ويستمر حكمهم قرونا . مع اختلاف الطبائع ، والعقائد ، والحضارات . (لم تكن لليهود حضارة على الاطلاق) .

وكان وفود اليهود الى مصر مع يعقوب حوالى عام ١٨٧٠ ق.م وكان احمس قد بدأ حرب التحرير بعد ٣٠٠ سنة تقريبا من وجودهم . وبه يبدأ حكم الاسرة الثامنة عشرة فى مصر . وهى اعظم اسر التاريخ المصرى القديم .

ولد موسى الكليم فى مصر . وتقول التوراة انه من اسرة ليفى ، أو لاوى اليهودية . وتقول مصادر اخرى انه من اسرة مصرية ولكنه فى جميع الاحوال يحمل اسما مصريا ، والرأى الارجح انه تحريف لاسم مصرى شائع جدا هو احموس الذى كان بطل التحرير . وان كان برستد ، وهو مؤرخ عظيم ولا شك يفسره بأنه طفل امون أو بتاح احد الهين مصريين قديمين ، اذ ان كلمة (موسى) فى الهيروغرافية تفسر بكلمة طفل .

وكان ميلاد موسى عام ١٥٢٠ ق.م فى حياة الامير ثم الملكة حتشبسوت ، وهى التى انقذته من الغرق ، وتولت تربيته ، وعمل ضابطا فى الحرس الفرعونى ، ثم سافر الى السودان فى بعثة عسكرية ، ولما نشب نزاع خطير بين الملكة واخيها تحتمس الثالث انحاز موسى الى الملكة التى ربته ، وهرب الى ارض مدين « شمال الحجاز » وكان سنه اربعين سنة فلما عاد تولى زعامة القبيلة اليهودية ويبدو ان هذه القبيلة شاركت فى النزاع على العرش مؤيدة حتشبسوت ضد أخيها تحتمس الثالث ، فحل بها اضطهاد فرعون والزمها بالعمل فى بناء المعابد وغيرها .

وهنا نأتي لفترة الخروج من مصر ، والتي يرجح جدا انها كانت عـــام ١٤٤٠ ق.م .

ولا يوجد لدينا فرعون في هـــذه الفترة مات في العام المذكور فان حكم اعظم فراعنة مصر تحتمس الثالث بدأ عام ١٥٠١ ق.م ، وانتهى عام ١٤٤٧ ق.م ليليه حكم أمونحتب الثاني الذى مات عام ١٤٢٣ ق.م .. وقد وجدت جثث هذين الفرعونين وهى محفوظة في المتاحف

وعلى هذا فنحن في قصة الخروج أمام فرضين :

أولهما أن قائد جيش المطـــاردة الفرعوني كان أحد امراء البيت المالك من الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب فرعون (وهذا اللقب اقرب الى لقب الباب العالي في تركيا العثمـــانية) وهو الذى غرق .

وثانيهما ان فرعون قائد المطاردة كان أحد هذه الاسماء من ملـــوك الاسرة الثامنة عشرة ، وانقذت جثته، وعلينا ان نصحح تاريخ الخـــروج أو تاريخ وفاة الفراعنة . وفي القرآن الكريم أشارة صريحة الى ان جثـــة فرعون أنقذت وعلى هذا فنحن نعتمد هذه الرواية .

وردت بعد ذلك في رسائل تـــل العمارنة اشارات الى حروب اليهود في فلسطين . اذ طلب حكامها من اخناتون نجدات تقمع هذه الحروب . وكان اخناتون قد تولى الحكم عـــام ١٣٧٧ ق.م وهذه الرسائل تؤيد أن الخروج والتيه كانا في وقت سابق لاخناتون ،كما وردت اشارات في عهد منفتاح بن رمسيس الثاني ، بانـــه حارب اليهود ، وسرى وهم لـــدى بعض المؤرخين ان منفتاح ــ بناء على هذه الاشارة ــ هو فرعون الخروج ولكن النصوص تؤيد الآن أن الخروج تم قبل عهده بأكثر من مائتي سنة .

اقامتهم في مصر وعددهم

وعلى ضوء هـــذه التواريخ التى أيدتها الحفريات ، ولا سيما حفريات أريحا بفلسطين ، قد اكدت ميقـــات مذبحة اليهود لاهلها جميعا وحيوانها وشجرها ، بانه كان عام ١٤٠٠ ق.م وقد تمت هذه الحفريات عام ١٩٣٦ م ونشر خلاصة البحث العلمي الـــذى اسفرت عنه ، في جريـــدة التايمز اللندنية ، كل من (جون جارستاج) رئيس بعثة اريحا و (الان رو) رئيس بعثة حفريات بيسان .

وفي أواخر القرن الماضي ، وبتأييد من حكومة مصر قام قنصل الولايات المتحدة في القاهرة بدراسة عـــلى الطبيعة لخط سير موسى واليهـــود الهاربين ، وفي تقديره أن بحيـــرة المنزلة كانت تمتد الى جنوب شواطئها الحـــالية وربما كانت أقـــرب الـــى البحيرات المرة وكانت اعشـــاب البوص تملأ المنطقـــــة والرياح في مواسم معينة كانت تدفع مياه البحيرة حتى لتشبه موج البحر ثم تدفعهـــا مرتدة حتى يظهر قاع البحيرة ، وما بين فترتي جزر ومد كـــان العبـــور الى سيناء ، ثم مطـــاردة فرعون الهاربين الذين ما لبث المد أن اغرقهم من يمين ويسار ، وبحر (سوف) الذى وردت اشارات كثيرة له ، هو بحر « البوص » الـــذى ينمو فـــي المياه الضحلة ، وهو ما تعنيه كلمة سوف العبرية : وفي تقدير هـــذا الباحث الامريكي ان العبور لم يكن من خليج السويس ، أو من البحـــر الاحمر : وعلى كل حال هذه فروض لها بعض الابعاد العلمية ولكنهـــا ليست كلها علما .

اما النقطة الهامة التى دلت عليها هذه الرحلة فهي المكان الذي صعد

اليه موسى فوق قمة الجبل (مارا بدير سنت كاترين الحالى) والسفح ثم السهل الذى استقر فيه اليهود فترة السنين الاربعين التى قضى عليهم بالبقاء فيها تائهين ومن حولهم جبال سينا وصحاريها هذا السهل كما رآه وقدر ابعاده القنصل الامريكى ، لا يمكن بحال ان يتسع لحوالى ثلاثة ارباع مليون نسمة . واذا كان المن والسلوى معجزة السماء التى ساقتها الى هؤلاء القوم ، فان الماء هو الذى اعوزهم ، وأى مياه تتفجر من الصخر معجزة لموسى ، أو تحويه الآبار بحكم الوجود الطبيعى ، لا يمكن أن تكفى هذا العدد الضخم من البشر ، ومعهم حيواناتهم ، هذه السنوات التى عرف انها اربعون سنة هلك فيها جيل المعاندين والكافرين من يهود العبور ، وظهر من بعدهم خلف اقرب الى الطاعة ولم يتشبع بعبادة الاوثان التى خرج بها اليهود من مصر ، ورفضوا من اجلها رسالة التوحيد التى جاء بها موسى ، ووصاياه العشر . ساحة الاقامة بحسب ابعادها التى لم تتغير خلال خمسة وعشرين قرنا ، قد تكفى لعشر العدد من اليهود الذى ورد فى التوراة اى تكفى لسبعين الفا فقط ، وهو رقم متفائل ، اطمأن اليه الصهيونى بن جوريون ثم عدل عنه ، بعد ان هدده الحاخام بالكفران والعصيان . .

ان سبعين شخصا ، اذا تكاثروا وغالبوا الامراض والاوبئة التى عاش فيها اليهود بسبب تذارتهم البدنية ، فانهم يزيدون الف مثل فى أربعة قرون وبعض قرن ، اى بنسبة ٢ر٥ ٪ تقريبا . .

وهكذا يمكننا ان نرفض الارقام التى وردت فى التوراة الحالية عن عدد اليهود الخارجين من مصر ، وعن تعداد قوتهم المحاربة التى قادها خليفة موسى وخادمه يشوع بن نون ، والتى بالغت فى كل شىء ، والقت القول على عواهنه .

اما كيف انتصر اليهود فى معاركهم الحربية فى فلسطين ، فان هذا البحث يحتاج الى مقال خاص به ، ولكننا نسرع فنقول ان اليهود لم يسيطروا على اكثر من ١٥ ٪ من ارض فلسطين ، وان فلسطين فى ذلك العهد لم تكن محكومة بحكومة مركزية مثل مصر او بابل ، ولكن مدنها وقراها كانت تحت سيطرة رؤساء قبائل ، وتوجد لمصر سيطرة اسمية ، ما لبثت أن تفككت بعد عهد تحتمس الثالث ، وعهد اخناتون . ورسائل تل العمارنة تشهد بذلك . . ومع ذلك فما أكثر الهزائم التى منى بها اليهود فى حروبهم للكنعانيين — عرب فلسطين فى ذلك الوقت — او اهل الساحل الفلسطينيين الذين حملت هذه الارض اسمهم بعد ذلك . ومن هنا نستطيع أن نقول ان ابن خلدون عندما شكك فى أرقام المسعودى كان على حق ، وكذلك فعل كثير من الباحثين فى أكثر ما اشتملته التوراة من اخبار ووقائع حتى المزامير وقصص الانبياء وجدت لها اصول فى آداب مصر وبابل القديمة .

وعندما نسب القرآن الكريم للتوراة المتداولة وقت نزوله ، الزيف الزور ، والبهتان ، فقد فتح الباب على مصراعيه لكثير من الدراسات تلت بعد ذلك لتكشف هذا الزيف ومن الخير ان يكون لنا نصيب أوفى من هذه الدراسات .

* * *

غزو الفضاء

يا ابناء الفناء : مهما بلغتم من المضاء والذكاء ، ومهما هيمنتم على الأرض والفضاء ، فانتم فى قبضة القضاء ،
((وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السماء))

جاوزْتَ منطقــةَ الهــواء ... وبلغْتَ أسباب السَّمــاء
ومشَيْتَ يا ابنَ الأرض فَـوْ ... قَ الهدر مرفوعَ اللــواء
مـن كوكب نَــاء قَفَــزْ ... تَ لكوْكبٍ فى الأفق نائى
وأردْتَ تحقيقَ الرَّجــا ... ء ، فَنِــلْتَ مافوقَ الرَّجاء
فاَخْلَع ثياب العُجْبِ واحـ ... ـذَرْ مِنْ دُوار الكِــبْرياء
مافُــزْتَ الاَّ بعــد أنْ ... سبقَتْكَ (لايْكَا) في الفضاء
فَمَضَيْتَ أنتَ وراءهــا ... مُتَهيِّبــاً وقْع القضــاء
فاعِرفْ لنفْسِكَ قَدْرَهــا ... ومصيرَهَا يا ابن الفنــاء

حُلْمٌ تحقق بالعُــلو ... م وبالعزيمَةِ والا مَضَــاء
وشَجــاعة قامَتْ على ... أُسس الضَّحيَّةِ والفِــداء
ومَعونَةِ اللهِ الــذى ... أعطَى فأجزَلَ في العطــاء



فاخشَعْ لَهُ ، واضـرَع إليـ ـهِ بالتحيَّـةِ والثَّنَاءِ
لَولا العِنَايَةُ ما مَشَيْـ ـتَ على الثَّرَى بَلْهَ السماء

* * *

يا ابنَ الثَّرَى فِيمَ التَّطَلُّـ ـعُ نحوَ آفاقِ الفَضَاءِ ؟
أتريد تلويثَ الكَوا كِبِ بالتعاسَةِ والشَّقاءِ ؟
أتريدُ فوق أديمها سَكْبَ الدِّماءِ على الدِّماءِ ؟
أتُحِبُّ نشرَ الحربِ فيـ ـها والضغينَة والعَداءِ ؟
أتريد تَسْخِيرَ العُلُو مِ لِبَثِّ ألوانَ البَلاءِ ؟
أمْ باستراقِ السمْعِ تَرْ جو كَشْفَ أستارِ الخَفَاءِ ؟
الغَيْبُ ـ يا ابن الأرضِ ـ أسْـ ـمَى من ذكاءِ الأذْكِيَاءِ

* * *

يا ابنَ الثَّرَى مهما سَمَوْ تَ فأنتَ من طينٍ وماءِ
مهما بَلغْتَ مِنَ الذكا ءِ فأنتَ مَحْدودُ الذَّكاءِ
مهما قَضَيْتَ من الأمو رِ فأنتَ فى أسْرِ القضاء

مهما كشفتَ مِنَ العَمــــا   ءِ فأَنتَ تخبطُ فى العمـــاءِ
مهما حشدْتَ من المضــــا   ءِ فأَنتَ مغْلولُ المضــــاءِ
مهما عَلِمْتَ فلسْـــــتَ تَعْـ   ـلَمُ غيرَ ومْضٍ من سَــناءِ
بالروحِ ـ لا بالجســمِ ـ تَحْـ   ـظَى بالسُّمــــوِّ والارْتِقاءِ
وَبِفَضْلِ مَنْ ســوَّاكَ مُعْـ   ـجِزَةً وخَصَّــــكَ بالوَلاءِ

* * *

أَعلِمْتَ سِرَّ الأرضِ ـ يا ابنَ الأرْ   ضِ ـ من أَلِـفٍ لِيــاءِ ؟
أَسبرْتَ أعمــــاقَ الثرَى؟   أَكَشَفْتَ أَبْعــــادَ الفضاءِ ؟
أَتراهُ مُمْتــــدَّ المجــــا   لِ بِلاَ أَمَــــامٍ أَوْ وَراءِ ؟
وإذا انتهى فَبِــأَيِّ حَـ   ـدٍّ لابتدَاءٍ وانْتِهَـــــاءِ ؟
أَعلِمْتَ مايَطْــويهِ جِسْـ   ـمُكَ مِنْ غُموضٍ أو خَفاءِ ؟
أَعَلِمْتَ أَسْرارَ الخَـــلا   يا والتَّــكاثُرِ والنَّمــاءِ ؟
أَعَرفْتَ كيف تفاعلُ الطَّـ   ـاقاتِ فى هـذا البنـــــاءِ ؟
أَفَقِهْتَ كُنْــــهَ الروحِ أَمْ   أَدْرَكْتَ أَســـرارَ الذَّكاءِ ؟
أَعلِمْتَ سِـــرَّ الجاذِبِيَّـ   ـةِ والحَرارةِ والضِّيـــاءِ ؟
تلك الطلاسمُ يسْـــتَوِى   فيها الذَّكاءُ مع الغَبـــاءِ
مَهما عَلِمْتَ فأَنتَ تَضْـ   ـرِبُ مِنْ خَـواءٍ فى خـــواءِ

* * *

الـــكونُ قام على مَـــلا   يينَ المَجَرَّاتِ الوِضـــاءِ
فِي كُلِّ واحـدةٍ بَـــلا   يِينَ الشموسِ عَلَى اسْـتِواءِ
كلٌّ يســـير بأُفقـــهِ   دونَ انْحِرافٍ والتِـــواءِ
هُـــوَ عالَمٌ ضخـــم يعـ   ـزُّ على المَراقبِ والمَرائى

والأرضُ فيـــــــه ذَرَّةٌ صُفْرَى تطـــوفُ على ذكاء
والناسُ فوقَ أديمهـــــا أشبـــــاه ذَرَّات الهبـــاء
والـكُلُّ جاء مِنَ الفضـــــا ء، وسوفَ يَمْضِي لِلفنـــاء
سُبحـــانَ مَنْ حازَ الـكما لَ وَمَنْ تَفَـــرَّدَ بالبَقاءِ !!!

يا ابنَ الرَّدَى لُـــذْ بالمُهَيْـــــــمِنِ واعْتَصِمْ بالأنبياءِ
واسلُكْ سبيلَ الدِّينِ تَظْـــــفَرْ بالسَّعادةِ والرِّضـــاءِ
ســـبِّحْ بِحَمْـــدِ اللهِ في فَلَقِ الصباحِ وَفي المَســاءِ
وانْظُرْ بعينِـــكَ أو بِقلْـــبِكَ ما يحفُّكَ من بَهـــاءِ
آياتُ رَبِّكَ أسْـــفَرَتْ فَدَعتْ إليهِ بلا امْـــتراءِ
آلاؤُه العظـمى تَلـــو حُ لِـكُلِّ مُسْتَمِعٍ ورائي
تدعو إلى نَشْرِ المحبـــــةِ والمَوَدَّةِ والإخـــاءِ
فيها الخلاصُ مِنَ الشـــدا ئِدِ والشِّـــفاءُ لِكُلِّ داءِ
فالنـــاسُ – لولا الدِّينُ – كـــالأنعامِ، من إبلٍ وشـــاءِ

* * *

يا ابنَ الثَّـــرَى ناداك رَبُّـــــكَ فاستَمِعْ قُدسَ النِّداءِ
وأعِــدَّ رَكْبَكَ لِلرَّحِيـــــلِ غدًا الى دارِ البقـــاءِ
فاهبط أو اصْعد ما اسْتطَعْـــــتَ فأنتَ في شَرَكِ الفَنــاءِ
مَهْمـــا نأيتَ فأنتَ عَنْ كَفِّ المَنِيَّـــةِ غير نائي
لَكَ ضَجْعَـــةٌ تحتَ الثَّرَى تَبْقَى إلى يومِ الجـــزاءِ
ما أنتَ قـــطُّ بمُعْجزٍ في الأرضِ أو فـوقَ السَّماءِ

نقد ودراسة لكتاب المصاحف لابن أبي داود

للشيخ : محمد صادق عرجون

اطلنا رشاء القول فى مقالنا السابق فى نقد أول باب من ابواب كتاب (المصاحف) الذى طبعه وقدم له الدكتور المستشرق (آرثر جفرى) ، وهو باب (من كتب الوحى لرسول الله) على وجازته ، وقلة ما اورد فيه المؤلف من بحث ، لأنه وجه الكتاب ، وطليعة البحث ، وقد روى فيه — مع اجحافه بحق زيد بن ثابت هذه الرواية الساقطة التى يتشبث بها وبأمثالها من الأباطيل المستشرقون وتلاميذهم ، لأنهـا تعطى الناظر فيهـا أن القرآن الكريم كان يكتب بالهوى والتشهى ، وعبث العابثين ، من اضراب الرجل المجهول ، الذى لم يجد مؤلف كتاب «المصاحف» كتابا للوحى غيره يضعه معه ، يسود بالحديث عنه بابه الأول فى كتابه ، كما تعطى ان كتاب الوحى كانوا يكتبون ما يشاءون غير ما يملى عليهم ، وما كان النبى صلى الله عليه وسلم يغير عليهم ، فيردهم الى الحق الذى انزل عليه ، بل ان الرواية تمعن فى هذا العبث الخبيث فتقول : ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يستفهم عن المكتوب او الذى يكتب فيقول : — كما تقول الرواية الساقطة — اى ذلك كتبت فهو كذلك ، وليس هناك طريق لزعزعة الثقة بالنص القرآنى ، بل لنسفها من أساسها أفحش ولا اخبث من هذا الطريق .

واذا كان الكتاب يطالعك فى اول ما يطالعك به هذا النحو من البحث فهو يريد أن يعطيك انموذجا لما سيجرى عليه فى سائر أبوابه وفصوله ، وهكذا كان كتاب (المصاحف) لابن أبي داود .

وكان من الممكن أن يستغنى بتفاهة ما فى هذه الرواية ومخالفتها نصا وموضوعا لأصول الروايات الكثيرة فى موضوعها عن اطالة الوقوف عندها بالنقد والتمحيص ، ذلك أن هذه الرواية التالفة سندا وموضوعا لم تذكر تغييرا أو تحويرا فى آية أو جملة لها قدر من آية ، وانما كل ما ذكرته ، وطنطن له وبه المستشرقون وتلاميذهم استبدال اسم من اسماء الله تعالى التى تختم بها بعض الآيات باسم آخر من أسمائه تعالى ، وهذا لا يمكن ان يكون آتيا من اختلاف الحروف السبعة التى نزل عليها القرآن ، كما فى الحديث الصحيح ، للتيسير على الناس فى اول امر البعثة ومبادىء الرسالة ، حتى يمكن أن يكون وجها من وجوه الاختلاف فى فهم معنى الحديث .

وفى هذه الطريقة التى سلكها مؤلف كتاب (المصاحف) خبيئة سوداء ، ذلك انها تهدم بناء الاسناد المتواتر فى تلقى القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقله الى الأمة من بعده .

واذا جاوزنا باب (من كتب الوحى لرسول الله) الى باب « جمع القرآن » وجدنا ابن أبى داود يذكر فى هذا الباب سبع روايات لحديث واحد لم يختلف سنده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى غير شيخ ابن ابى داود أو شيخ شيخه مع اتفاق متن الحديث الذى يثبت أن أبا بكر الصديق بشهادة على بن أبى طالب رضى الله عنهما خاف على القرآن الضياع ، فأمر عمر وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد ، فمن جاءهما بشاهدين على شىء من كتاب الله كتباه ، وهذا رواية غريبة جدا، ولكنها مروية، ثم اتبع ابن أبى داود هذه الرواية بالرواية المتعارفة المشهورة التى رواها البخارى وغيره ، وهى التى تفيد أن عمر هو الذى فزع الىأبى بكر فى جمع القرآن بعد مقتل أهل اليمامه ، والاختلاف بين الروايتين وسيلة من وسائل القاء الريب فى جمع القرآن — وهذا ما اسرع الى التقاطه آرثر جفرى مقدم كتاب (المصاحف) الى قرائه — ، فأبدى شكا مريبا فى هذه الرواية المتفق على صحتها ، ثم راح ابن أبى داود يبدى ويعيد متكثرا برواياته وغرائبه حتى جاء بغريبة الغرائب ، وختم بها الحديث عن جمع أبى بكر القرآن ، وروى من طريق ابن وهب عن مالك بن انس عن ابن شهاب عن سالم ، وخارجة أن أبا بكر جمع القرآن فى قراطيس ، وكان سأل زيد بن ثابت النظر فيها فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل ؟ ! أرأيتم ايها المسلمون كيف كان يكتب عن القرآن ، وكيف يتصيد هذه الكتابات الخبيثة المستشرقون وتلاميذهم ؟ .

ويمضى ابن أبى داود فى غرائبه المتضاربة ، فمرة يكون المملى لجمع القرآن زيد بن ثابت ، ومرة أبى بن كعب ، ومرة يجعل صاحب فكرة الجمع عمر ، ومرة يجعله أبا بكر ، ومرة كان الجمع على يد عمر وزيد ، وهكذا مما يوقع البلبلة والاضطراب ، وهو يابى أن يقبل فكرة جمع على بن أبى طالب للقرآن فى مصحف ، ويطعن فى سند الرواية بأن أحد رواتها لين الحديث ، وأن الرواة غيره رووا حتما جمع القرآن دون ذكر فى (مصحف) ثم فسر ذلك باتمام الحفظ ، ثم يقول فى الجمع الذى نسبه الى عمر انه قتل وهو يجمع القرآن فقام عثمان بعده باتمام ما بداه ، وهذا متضارب مع ما قدمه فى جمع عمر ، وماذا يفهم من الرواية التى تقول (لما أراد عمر أن يكتب الامام اقعد له نفرا من

اصحابه وقال لهم : اذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فان القرآن نزل على رجل من مضر) سوى اغراء الشك بالقلوب ؟؟

وانظر الى سياقه لجمع عثمان ، وهو الجمع الذى اتفقت عليه الأمة ، واصبح اماما للناس فى جميع أمصار الاسلام ، فأنه يسوقه مساقا غريبا ويذكر فى سنده (يزيد بن معاوية) !! ثم ذكر بعد ذلك قصة كراهة عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصحف مع ما قدمه عن مصعب بن سعد انه قال : ادركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم احد ، وقد أطال واكثر من الروايات المتضاربة فى هذا الفصل ، ثم أعقب ذلك بعنوان : رضاء عبد الله بن مسعود لجمع عثمان المصاحف ، ثم ذكر جمع عثمان فى روايته المشهورة المعروفة ، وهى تقضي على سائر ما قدمه مما يخالفها ، وأطال فى ايراد الروايات الباطلة حتى روى عن ابن شهاب انه قال : بلغنا انه كان أنزل قرآن كثير فقتل علماؤه يوم اليمامة الذين كانوا قد وعوه فلم يعلم بعدهم ولم يكتب . أريتم الى هذه الشنشنة الرافضية يقحمها صاحب كتاب (المصاحف) بين الروايات ليوقع الشك فى أن ما بين الدفتين لم يكن هو جميع القرآن الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونقلته عنه الأمة نقلا متواترا يقطع شك كل مرتاب ، وقد ورد فى بعض الروايات الرافضية التى لا يعرج عليها ثقاة المحدثين أن قرآنا كثيرا قد ضاع ، وأن سورة كذا كانت حجم سورة كذا ، وقد ضاعت ، وهذا شىء ينشره أعداء الاسلام واعداء القرآن وينسبونه الى الشيعة ، وعلماء الشيعة يبرؤون الى الله من اسناد هذه الأباطيل اليهم . يقول الشيخ أبو جعفر محمد بن على بن بابويه — وهو من اكبر ائمة الامامية الاثنى عشرية — فى رسالته الاعتقادية : (اعتقادنا فى القرآن أن القرآن انزله الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين ، وهو الذى بأيدى الناس ، ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سوره عند الناس مائة واربع عشرة سورة ، عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرتبا غير منشور وعندنا والضحى ، والشرح سورة واحدة ، والفيل وقريش سورة واحدة ، من نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب) .

وفى تفسير مجمع البيان الذى يعتبر من اصول التفاسير عند الشيعة : (ذكر السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذو المجد ابو القاسم على بن الحسين الموسوى : ان القرآن كله كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وأبى بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلى اللهعليه وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على انه كان مجموعا مرتبا غير منشور ولا مبثوث . وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا اخبارا ضعيفة ظنوا صحتها ، لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته) .

وقال السيد المرتضى ايضا : (أن العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان ، والحوادث الكبرى ، والوقائع العظام المشهورة ، واشعار العرب المسطورة ، فان العناية اشتدت والدواعي تواترت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما

ذكرناه ، لأن القرآن معجزة النبوة ، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شىء من اعرابه وقراءاته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد) .

فهل بعد هذه النصوص القاطعة من أكبر ائمة علماء الشيعة وأساطينهم ، وهى مدونة فى أشهر كتبهم واكبر داواوينهم المعتبرة عندهم ، يمكن أن تقوم لروايات الملاحدة من أعداء القرآن والاسلام قائمة تمس قدسية هذا الكتاب الكريم . ؟

ثم تحدث ابن أبى داود فى الجزء الثانى من كتابه (المصاحف) عن اختلاف الحان العرب فى المصاحف ، وقد أحسن ففسر الالحان باللغات ، ولكنه نسى نفسه ونسى تفسيره للألحان باللغات ، وراح يروى آثارا ، تفيد أن اللحن الذى وقع فى القرآن هو لحن الاعراب النحوى ، وأنه جاء من طريق الكتاب ، وذلك كأثر عن سعيد بن جبير ، وأثر عن ابان بن عثمان ، وأثر عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وهذه الآثار كلها باطلة موضوعة ، وقد ذكر المفسرون وجوه الاعراب تلك فى الآيات بما يكفى ويشفى ، فلا حاجة الى نقل ذلك هنا ، وهى بين يدى من يريد فى كتبها .

ثم عقد ابن أبى داود بابا بعنوان (اختلاف مصاحف الأمصار التى نسخت من الامام) وأطال الحديث فى آيات قراها قراء الأمصار بقراءات مختلفة ، وآيات أدرجت فيها على السنة المفسرين القدامى كلمات على سبيل التفسير كما أوضحه وتتبعه ابن الأنبارى فى كتابه « الرد على كتاب المصاحف » ، وابن الأنبارى معاصر لابن أبى داود متأخر الوفاة عنه .

وخلص ابن أبى داود من هذا الباب الى بساب عجيب ذكر فيه شنيعة الشنائع ذلك هو باب (ما كتب الحجاج بن يوسف فى المصاحف) وفى غير خشية من الله أو خجل من أهل العلم يروى ابن أبى داود هذه الأكذوبة المفضوحة فى هذا الباب ، ولا يذكر معها شيئا آخر يدل على توقفه فى قبولها ، ذلك أن الرواية تقول بسند ابن داود الى عوف بن أبى جميلة : ان الحجاج بن يوسف غير فى مصحف عثمان أحد عشر حرفا . أى والله هكذا تقول رواية كتاب (المصاحف) الحجاج غير مصحف عثمان الذى اجمعت عليه الأمة اجماعا لم يعرف له نكير ، وبقى هذا التغيير الحجاجى هو القرآن الذى تقرؤه الأمة وتتعبد بتلاوته ، ويشتغل علماؤها بتفسيره ، وذهب القرآن الذى نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقلته الأمة نقلا متواترا قاطعا الى مصحف عثمان الذى صار أماما فى جميع الأمصار ، أليس هذا من أشنع ما كتب الكاتبون ؟ ليس من العلم فى شىء أن يناقش ابن ابى داود فى ايراده لهذه الرواية الساقطة ، ولكنا نقول : ما كان اعلم والده به حين دمغه بالكذب ، وبقى أن يقال : ان من يذكر هذا الكلام فى كتاب يؤثر عنه لا بد أنه مصاب بلوثة فى عقله .

ثم راح ابن أبى داود يذكر اختلاف مصاحف الصحابة — فى زعمه — فى الخط أو الزيادة أو النقصان ، مسندا ذلك الى أبيه الامام ابى داود ، وأبوه من ذلك برىء ، وقد سقنا الرد من علماء الشيعة على ما زعمه بعض الناس من

مقالة تنسب اليهم انهم يقولون بشيء من ذلك ، اليس من العجيب أن ينقل ابن ابي داود عن عمر بن الخطاب انه قرأ في الصلاة وهو امام المسلمين (صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين) فليتأمل اولو الألباب : ان عمر قرأ فاتحة الكتاب ، وهي السورة التي يحفظها جميع من على ارض الله من ملايين المسلمين ، ويقرؤها عمر اماما بالمسلمين في الصلاة ، وعهد عمر أن صلاة الجماعة كانت تجمع الجم الغفير من المسلمين لا يتخلف عنها الا من بعدت داره فلا يدركها او بعد قلبه عن الايمان من المنافقين ، ثم يغير فيها هذا التغيير الجوهري ، ولا ينقله عن عمر من هذا الجمع الذى صلى خلفه وسمعه يقرأ بها الا رجلان ، هذا من أعجب العجب ، ومن مضحكات هذه الروايات ما يرويه ابن ابي داود عن ابن الزبير أنه سمع يقرأ (في جنات يتساءلون يا فلان ما سلكك في سقر) وأن ابن الزبير سمع عمر بن الخطاب يقرؤها كذلك فهل هذا اسلوب عربي ، بله اسلوبا فصيحا ، بله اسلوبا قرآنيا ؟! ومثل هذا السخف رواية (آمن الرسول بما انزل اليه وآمن المؤمنون) هذا كلام لا يقع من الأطفال البله ، وهذا كثير فيما ذكر صاحب كتاب (المصاحف) .

اما ما ذكره من الروايات عن زيادة كلمات في بعض الآيات في مصحف ابن مسعود ، فقد ذكر العلماء ان ذلك من باب التفسير ولم يكن قرآنا قط ، ويجري هذا المجرى ما ذكره في مصاحف الصحابة والتابعين مما أطال به ابن ابي داود اذا صح عنهم — وكثير منه دخيل مدخول .

واعجب عجائب هذا الكتاب — وكله عجائب وغرائب — أنه يشتمل على باب بعنوان : (باب : ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فهو كمصحفه) وى وهل في دنيا الاسلام قرآن لم يرو متواترا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أى شيء هذا الذى يقوله ابن ابي داود ؟ وأى شيء هذا الذى يكتب عن القرآن وعن رسول القرآن صلى الله عليه وسلم في كتب يتداولها المسلمون في تاريخهم الفكري ؟ ولكن هكذا كان الاسلام في دستوره وشريعته وتاريخه يلقى من أعدائه الذين عجزوا عن مواجهته بقوة السلاح أو قوة الحجة فتواروا وراء البحث ، ووضعوا على السنة البله والضعفاء ، ولقنوهم طامات مدمرة ، حدثوهم بها على انها حديث وسنة مأثورة ، وتناقلها هؤلاء وأثرت عنهم حتى حوتها كتب تلقفها المستشرقون وهللوا لها وكبروا ، وقد آن لليقظة الفكرية الاسلامية أن تشهر أسلحة النقد العلمي في وجه هذه الملفقات لتكشف عنها القناع حتى يبدو باطلها فلا يغتر بها أحد من عامة مثقفي المسلمين .

ومؤلف كتاب (المصاحف) اذ يروى تحت هذا العنوان ما يروى لم يكن مختلفا مع نفسه ، ولكنه كان هو هو الذى روى ورأى أن سنده في كتابه (المصاحف) يجب أن يتشرف بادخال (يزيد بن معاوية) فيه ، وهو هو الذى روى ورأى أن الحجاج بن يوسف الثقفي أدخل على الناس (قرآنا) لم ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقل عنه ولو بطريق آحادى أو شاذ ، ونحسب أن الحجاج على ما كان عليه من فجور الدماء وتعطشه لسفكها ، لو عرض عليه هذا الذى نسب اليه لنفر عنه وتأبى أن ينسب اليه .

ويمضي ابن أبي داود في غرائبه وأباطيله فيقول : ان مروان بن الحكم

هو اول من قرأ (ملك يوم الدين) وان النبى صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرءونها (مالك يوم الدين) ولا شك ان هذا عين المحال والباطل ، فليس لمروان ، ولا من هو اكبر من مروان ، من التابعين والصحابة وسائر افراد الأمة ان يقرأ بما لم يقرأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا صح من جهة السند ان يقرأ مروان أو غيره من التابعين أو غيرهم من ائمة الصدر الأول بقراءة دون غيرها ، فليس هذا قراءة لم يقرأ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والا كانت قراءات القرآن من قبيل الهوى والتشهى الذى لا يعتمد على التلقى والنقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر القطعى كما هو اجماع المسلمين ، وانما مخرج ما ينسب الى بعض التابعين من انه قرأ كذا على ترجيح قراءة على قراءة أخرى مماثبت قطعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ به ، ونزل عليه به جبريل عليه السلام ، وللترجيح وجوه كثيرة ذكرها ائمة القراءات والتفسير ، فقد يكون الترجيح من جهة الأبلغية وزيادة الروعة البيانية ، وقد يكون أساس الترجيح افاده احدى القرائتين معنى اكثر من معنى القراءة الأخرى ، وهذا ما يفيده صنيع امام المفسرين ابو جعفر الطبرى ، فانه بعد أن ذكر القراءتين (ملك ومالك) رجح قراءة (ملك) وبين انها اكثر معنى ، فقال من كلام طويل مسهب ، نلخص بعضه بما يبين مقصودنا منه : ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغة العرب أن (الملِك) من (المُلك) مشتق ، وأن (المالك) من (المِلك) مأخوذ ، فتأويل قراءة من قرأ ذلك (ملك يوم الدين) أن لله الملك يوم الدين خالصا دون جميع خلقه الذين كانوا قبل ذلك ملوكا جبابرة ينازعونه الملك فى الدنيا ، فأخبر تعالى ذكره انه المنفرد يومئذ بالملك دون ملوك الدنيا . .

واما تأويل قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) فهو كما روى عن عبد الله بن عباس (مالك يوم الدين) يقول : لا يملك احد فى ذلك اليوم معه حكما كملكهم فى الدنيا . ثم قال أبو جعفر رحمه الله : وأولى التأويلين بالآية ، وأصح القراءتين فى التلاوة عند التأويل الاول ، وهى قراءة من قرأ (مَلِك) بمعنى (المُلك) لأن فى الاقرار له بالانفراد بالمُلك ايجابا لانفراده بالمِلك وفضيلة زيادة الملك على المالك اذا معلوما أن ما من ملك الا وهو مالك ، وقد يكون المالك لا ملكا.

ثم ذكر أبو جعفر أن قراءة (ملك) تفيد معنى تأسيسيا زائدا على ما يفيده وصف الله تعالى بأنه (رب العالمين) الذى تقدم بقرب منه ، ووصفه تعالى بأنه رب العالمين يفيد أنه مالك العالمين فى الدنيا والآخرة ، فمجىء (مالك يوم الدين) عقبه يكون من باب تكرار الفاظ مختلفة بمعان متفقة ، أما مجىء قوله تعالى (ملك يوم الدين) فانه يفيد بأنه تعالى مالكهم ومَلِكهم ، وهو ما لا تفيد قراءة (مالك يوم الدين) .

ثم قال أبو جعفر ملخصا زبدة رأيه : فبين اذا أن أولى القراءتين بالصواب ، وأحق التأويلين بالكتاب قراءة من قرأ (ملك يوم الدين) بمعنى اخلاص الملك له يوم الدين ، دون قراءة من قرأ (مالك يوم الدين) الذى بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء متفردا به دون سائر خلقه .

على أنه ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بالقراءتين ، روى

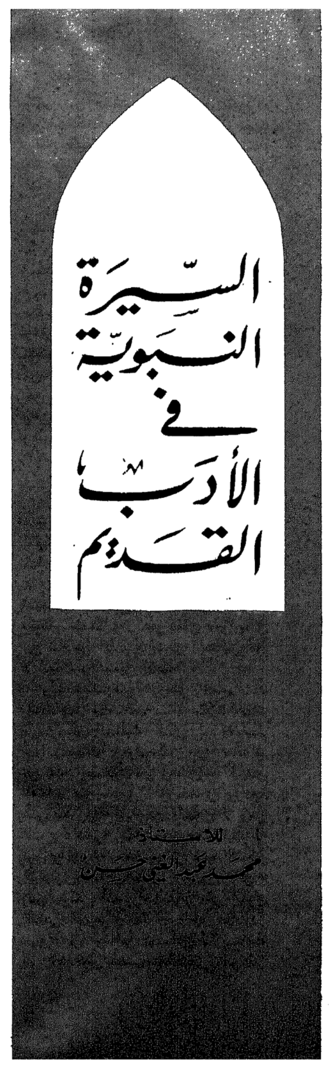
الترمذى من حديث أم سلمة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها (ملك يوم الدين) ، وفى حديث أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرؤها (مالك يوم الدين) .

لكن ابن أبى داود صاحب كتاب (المصاحف) لا يتقبل كما تقبل اجماع المسلمين ان النبى صلى الله وعليه وسلم ثبث عنه أنه كان يقرأ بالقراءتين المنزلتين عليه من رب العالمين (ملك ــ مالك) ويذهب ابن ابى داود الى ان قراءة (مالك يوم الدين) هى القراءة المأثورة ، لأن فيمن قرأ بها ، (يزيد بن معاوية) ، وان قراءة (ملك يوم الدين) مستحدثة ، واول من أحدثها وقرأ بها مروان بن الحكم ، وابن أبى داود لا يغفل عن حديث الترمذى الذى يثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ (ملك يوم الدين) ، ولكنه يتأوله ويتعسف فى تأويله ليثبت أن فى قراءات القرآن ما لم يقرأ به النبى صلى الله عليه وسلم ، وانه مستحدث بالهوى والتشهى على لسان مروان بن الحكم والحجاج بن يوسف الثقفى وغيرهما كثير وكثير ، وهذا ما تتصيده شباك المستشرقين وتلاميذهم من زمر هذه الكتب ومستنقعاتها ، وينشرونه على الناس (علما وبحثا) والله من ورائهم محيط .

يتأول ابن أبى داود حديث الترمذى المثبت بأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ (ملك يوم الدين) بأن هذا ليس من قبيل القراءة المنزلة ، وانما هو وارد فى تقطيع النبى صلى الله عليه وسلم قراءته ؟؟

فليحاول المغنون والمطربون والحداة ان يقطعوا (مالك يوم الدين) ليصلوا بها الى (ملك يوم الدين) حتى نعلم كيف أن التقطيع يبلغ بالكلمات هذا المبلغ ، والمروى أن تقطيع النبى صلى الله عليه وسلم المعبر عنه فى القرآن الكريم (بالترتيل) وفى اصطلاحات القراء (بالترسل والترسيل) اى نظم الكلمات متتابعة فى أناة وتلبث حتى تكون كل كلمة بينة النطق لا تشتبه بغيرها ، حتى انه ورد فى بعض الروايات (وان كلماته لتعد) فكيف يبلغ التقطيع فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم أن يجعل من كلمة (مالك) (ملك) وفى الأولى ميم ممدودة ، والمذكور فى وصف قراءة النبى صلى الله عليه وسلم أنها كانت (مدا) لا قصرا ؟؟ وقد عقد ابن أبى داود بعد ذلك فى كتابه فصولا فى اختلاف خطوط المصاحف ، واعاد شنعة ما نسبه الى الحجاج من انه غير فى مصحف عثمان فى أحد عشر موضعا .

وبعد . فان كتاب (المصاحف) لابن ابى داود كتاب اعتبره التاريخ من كتب التراث الثقافى فى الاسلامى ، وهو صورة من صور البحث فى أسلوبه ، وطريقة من طرائق التأليف فى موضوعه ، يعطينا فكرة عما كان يجول فى عصر المؤلف من الآراء والمذاهب والأفكار حول القرآن ، وهو كتاب يجمع الغث الى السمين ، والرخيص الى الثمين ، والصحيح الى السقيم ، والقوى الى الضعيف ، والحق الى الباطل ، والصواب الى الخطأ ، يوجز حتى يخل ، ويسهب حتى يمل ، يذكر الرأى وينتقضه ، ويروى الرواية ثم يهدمها ، فهو لا يكاد يربط حتى يحل ، ولا يكاد يجمع حتى يفرق ، وهو من دعائم البحث الاستشراقى حول القرآن ، فليحذر قارئوه أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب الله . والمستعان الله .



في العدد الثالث والستين من مجلة « الوعي الاسلامى » تحدثت عن «السيرة النبوية فى الادب الحديث» ، ولم تكن متابعتى لما كتب فى العصر الحديث عن النبى عليه السلام على سبيل الحصر ، والا فان هناك جوانب اخرى من سيرة الرسول تناولها مؤلفون معاصرون فأحسنوا تناولها ، كما فعل اللواء الركن محمود شيت خطاب فى كتابه « الرسول القائد » . وكما فعل الاساتذة محمد عطية الأبراشى فى « عظمة الرسول » وخالد محمد خالد فى « انسانيات محمد » وعبد الوهاب حمودة فى « الرسول فى بيته » وفى « ساعات حرجة فى حياة الرسول » ومحمد شوكت التونى فى « محمد محرر العبيد » . والدكتور عبد الحليم محمود فى كتابه « الرسول : لمحات من حياته ، ونفحات من هديه » وانور الجندى فى كتابه (محمد الرسول) ومحمد حلمى محمود فى « ديمقراطية محمد » .

واليوم اود ان التقى مع القارىء الكريم فى موضوع محمد عليه السلام والسيرة النبوية فى الادب القديم ، وهو موضوع يطول مداه خلال التاريخ العربى الاسلامى منذ القرن الاول الهجرى — حيث بدأ الرواة والمؤرخون يتناولون سيرة محمد — الى اخريات القرن الثالث عشر الهجرى وأوائل القرن الرابع عشر .

ولقد كانت السيرة النبوية فى بدء عهدها بابا من أبواب الحديث النبوى ، فيرى القارىء فى كتب الصحاح من الحديث كتابا فى « الجهاد والسير » ، وكتابا آخر فى « المغازى » بجانب الكتب الاخرى فى الحديث .

واختص جماعة من رجال الحديث

بالتأريخ للسيرة النبوية والاهتمام بجمع اخبارها وروايـة وقائعهـا ، فاشتهروا بأنهم من رجال السيرة اكثر من اشتهارهم بالتاريخ والحديث .

وتصادفنا من مؤرخـي السيـرة النبوية اسماء كثيـرة يزدحـم بهم القرنان الثانى واوائل القرن الثالث وينتمون بالنسب الى اكثر من ارض عربية حيث بدأت الرقعة الاسلامية فى الاتساع . فهناك مؤرخون لسيرة النبى من المدينة ، وهناك مؤرخون لها من مكة ، ومن البصرة والكوفة ، واليمن ، والعـراق ، ومن مؤرخى السيرة فى مدينة الرسول عروة بن الزبير المتوفى سنة ٩٢ هـ ، وعاصم ابن قتـادة المتوفى سـنة ١٢٠ هـ ، وشرحبيل بن سـعد المتوفى سـنة ١٢٣ هـ ، وعبد الله بن حزم المتوفى سنة ١٣٥ هـ ، وموسى بن عقبـة المتوفى سنـة ١٤١ ، ومحمـد بن اسحاق المتـوفى سنـة ١٥٢ هـ ، والواقدى مؤلف المغازى والفتـوح المتوفى سنة ٢٠٧ هـ .

ويمثل المؤرخين المكيـين للسيرة النبوية ابن شهاب الزهرى المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، أما البصريون فنجد منهم معمر بن راشد ، ومحمد بن سعد صاحب كتاب الطبقات الكبرى ، وابن هشـام الذى اشـتهر بكتابه « السيرة النبوية » التى اخذها عن شيخه ابن اسحاق ، وقد توفى ابن هشام سنة ٢١٨ ، فكان آخر من انتهت اليهم كتابة السيرة فى القرن الثالث . ويمثل اليمن فى كتابة السيرة النبوية بضـعة من المؤرخين منهم وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٠ ، وابو بكر عبد الـرازق بن همـام الحميرى الصنعانى المتوفى سنة ٢١١ هـ .

واشهر ما بقى لنا من كتب السيرة النبوية حتى القرن الثالث الهجـرى كتاب ابن هشـام الذى جمع ما رواه عن استاذه ابن اسـحاق واختصر منه، وعلق عليه واضاف اليه ، وحذف منه، وصحح رواية الكثير من اشعاره .

وقد استطاع كثيـر من مؤرخى السيرة الاولين أن يتحرروا من بعض القيود التى وضعها المحدثون لرواية الحديث : فأسقـطوا الاسـانيد ، وتخلصوا من عبارة « حدثنا فلان عن فلان » وامثالها ، مراعاة للاختصار وفسح المجال لسـرد الاخبـار من ناحية ، ووصلا لسلسلة الحوادث من ناحية أخرى.. وممن صنع هذا ابن اسحـاق شيـخ ابن هشام ، والواقدى صاحب المغازى والفتوح ، وتبعهما ابن هشام ، الذى انتـهى اليه تاريخ السيرة النبوية فى اجمع واوثق رواياتها .

وبالطبع لم يجرد هؤلاء المؤرخون سيرة الرسول عليه السلام من كل اسانيدهـا ، بل ابقوا على بعضها ، كما نراه عند ابن اسحاق حين يروى عنه ابن هشام . ويذكر ابن اسحاق اسماء أصحـاب الأسـانيد معنعنة بقوله : حدثنا فلان عن فلان . وان كان فى قلة من الأحيان يقول (حدثنى من لا اتهم) ولا يعين اسمه .

وقد تعـرض مؤرخو السيرة — بإسقاطهم للأسانيد — لحملات النقد من رجال الحديث الذين لم يعجبهم هذا المسلك . ولم ينج ابن اسحاق من هذه الحملات ، وان كان قد تصدى للدفاع عنه بعض المؤرخـين وردوا على ما وجه اليه من طعون . ومن الذين دافعوا عنه بعد وفاته بسبعة قرون المؤرخ الاندلسى ابن سيد الناس اليعمرى صاحب كتاب « عيون الأثر » ومن مؤلفى السيرة النبوية فى القرن الثامن الهجرى .

والحق ان ابن اسحاق كان مهتما الى حد كبير بجـمع اكبـر قدر من

الأخبار حول السيرة ومقدماتها ومقدمات عصر النبوة كله ، فلم يشغل نفسه بتحقيق رجال السند ولا بتعديلهم وجرحهم كما كان يفعل رجال الحديث ، بل قبل كل ما كان يصل الى علمه سماعا أو قراءة — دون تنخل أو تحقيق — ، وهو معذور لأن التاريخ كان فى ذلك العهد علما فى بدايته .

والحق ان ابن اسحاق كان فوق هذا يعتمد على الكتب المدونة يأخذ منها ، ولم يعتمد على السماع مثل اعتماده على النقل من الكتب المدونة قبله . وقد غلبت لخاصة الجمع على ابن اسحاق فيما كان يدونه ويرويه ، وخصوصا انه ادخل نفسه فيما لا يحسنه من ابواب العلم والأدب ، ولم يكن له بالشعر بصر ولا تذوق ولا معرفة بالأوزان والقوافى . ومن هنا دخل الضعف الى اكثر ما رواه من شعر جاهلى واسلامى . فقد كان يجمع كل شعر قيل انه نظم حول السيرة ويدخله فيها دون تحقيق ودون تفريق بين المنحول وغير المنحول ، وقد لاحظ المؤرخون والأدباء والنقاد عليه هذا منذ اطلعوا على السيرة النبوية التى كتبها عنه ابن هشام ، فنرى ابن النديم صاحب «الفهرست» يقول عنه : (انه كان يعمل له الأشعار ويؤتى بها ، ويسأل ان يدخلها فى كتابه فيفعل ، فضمن كتابه من الأشعار ما صار به فضيحة عند رواة الشعر ..) والحق اننا نجد ابن اسحاق ينسب شعرا لأناس لم يقولوه ، ويجوز عليه هذا الخلط فلا ينتبه له ولا ينخله ولا يصحح نسبته ، الى ان يجىء تلميذه ابن هشام — وكان عالما بالشعر وغريب اللغة والأدب — فيصحح ما وقع فى شعر السيرة من أوهام ، بل يزيد اكثر من هذا فيعلق على ما روى من شعر السيرة من حيث الجودة والرداءة ، أو يذكر اسم الشاعر اذا كان ابن اسحاق قد أغفله ، أو يشير الى عيوب الشعر والقافية ، أو يحقق نسب الشاعر ، أو يسقط بعض الشعر الذى رواه ابن اسحاق لبعض الاعتبارات والأسباب ، كالاقذاع أو الفحش ، أو مخافة الاكثار ، ولا يقف ابن هشام عند هذا الحد ، بل قد يصحح المناسبة التى قيل فيها الشعر .

ولم يكن ضعف ابن اسحاق فى الشعر الذى ورد فى السيرة وعدم معرفته بالشعر العربى على العموم موضع النقد عند القدماء وحسب كما نجده عند ابن النديم فيما سلف من القول ، ولكن المؤرخين والعلماء المحدثين لم يغفروا للرجل ما وقع فيه من وهم ، كما فعل جرجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية » ، والشيخ محيى الدين عبد الحميد فى مقدمته لسيرة ابن هشام ، والدكتور عبد العزيز الدورى فى كتابه « نشأة علم التاريخ عند العرب » وقد اشترك المستشرقون فى حملة النقد على ابن اسحاق من حيث الأشعار التى وردت فى السيرة ، ومن هؤلاء « بروكلمان » فى كتابه المشهور ، « وديلافيدا » فى دائرة المعارف الاسلامية ، وهوروفتس فى كتابه عن « المغازى الاولى ومؤلفوها » وان كان هذا الأخير قد حاول ان يلطف من حدة الحملة عليه ، وان يلتمس له بعض العذر فيما وقع فيه ..

وتتجلى عدالة ابن هشام فى نظره للشعر الهجائى المقذع فى السيرة فيما قام به من اسقاط لهذا الشعر فى كتابه الذى اخذه عن شيخه محمد ابن اسحاق . فقد كان الميزان مستويا بين يديه فى نظرته لشعر المسلمين

والمشركين على السواء . فحذف الاقذاع والفحش من الهجاء سواء أكان لشاعر مسلم أم لشاعر مشرك. وكثيرا ما نراه يحذف شعرا لحسان ابن ثابت رضى الله عنه لأنه اقذع فيه فى هجاء المشركين .

واشعار حسان التى وردت فى سيرة ابن هشام هى غير ما نجدها عليه فى ديوانه . فجامع ديوانه جمع فيه كل شىء بقضه وقضيضه .. أما ابن هشام فكان يقف موقف الرقيب ، فلم يسمح بأن يشتمل كتابه فى سيرة الرسول على شعر فيه هجر واقذاع.

وقد يقال ان هذا قد يتنافى مع أمانة التاريخ ، ولكن ابن هشام كان اكثر من أن يكون مؤرخا وجماعا .. انه كان رجلا يربأ بسيرة الرسول أن يدخلها ما لا يليق أن تشتمل عليه .

ولقد توبلت سيرة ابن هشام بما هى جديرة به من حسن التلقى والقبول عند العرب والمسلمين فى كل عصر وكل مصر . فترجمت الى الفارسية كما يذكر المستشرق الالمانى بروكلمان ، كما ترجمها المستشرق « فيل » الى الالمانية سنة ١٨٦٤ ، ونشرها المستشرق وستنفيلد محققة مفهرسة فى ليبزج سنة ١٨٩٩ .

ولم يسكت المسلمون على تتابع العصور منذ سيرة ابن هشام عن التاليف فى السيرة النبوية وفى تاريخ محمد عليه السلام ، وان كنا نلاحظ أن حركة التاليف فى حياة النبى محمد وسيرته بدأت تستعيد كثرتها فى القرن الخامس الهجرى ، فنرى ابن فارس اللغوى المشهور وصاحب « المجمل » و « معجم مقاييس اللغة » يؤلف كتابا فى سيرة النبى عليه السلام عنوانه « أوجز السير لخير البشر » وهو من مطبوعات الهند والجزائر ، ونرى ابن حزم الأندلسى يؤلف كتابه « جوامع السيرة » الذى حققه الدكتور ناصر الدين الأسد وزميله ، ونرى ابن عبد البر القرطبى صاحب كتاب (الاستيعاب) المشهور فى تاريخ الصحابة يؤلف كتابا فى سيرة الرسول عنوانه « الدرر فى اختصار المغازى والسير » .

واكثر المؤلفين فى تاريخ محمد عليه السلام وسيرته كانوا يفردون سيرة الرسول بكتاب خاص قائم بذاته ، كما صنع القاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤ فى كتابه المشهور « الشفا فى تعريف حقوق المصطفى » وكما صنع عبد المؤمن شرف الدين الدمياطى المؤرخ المصرى المعروف والمتوفى سنة ٧٠٥ هـ فى كتابه « المختصر فى سيرة سيد البشر » ، وكما صنع ابن سيد الناس اليعمرى المتوفى سنة ٧٣٤ فى كتابه « عيون الأثر ، فى فنون المغازى والشمائل والسير » ، وكما صنع المؤرخ مغلطاى المتوفى سنة ٧٦٢ فى كتابه « الزهر الباسم فى سيرة أبى القاسم » وكما فعل المؤرخ المقريزى صاحب (السلوك) و (الخطط) وغيرهما فى كتابه «امتاع الأسماع » الذى ذكر فيه طائفة كبيرة من أخبار الرسول عليه السلام لا نجدها فى كتاب غيره ، وان كان مؤرخنا المصرى الامام السخاوى صاحب « الضوء اللامع » و « الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » يقول عنه أن فيه الكثير مما ينتقد . وكما صنع شهاب الدين القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣ فى كتابه « المواهب اللدنية ، فى المنح المحمدية » وكما صنع نور الدين الحلبى من رجال القرن الحادى عشر الهجرى فى كتابه « انسان العيون ، فى سيرة **الأمين والمأمون** » وهو المعروف فى المكتبة العربية وبين

العلماء والباحثين بالسيرة الحلبية ، غرقا لها من سيرة ابن هشام .

على ان من المؤرخين لسيرة النبى عليه السلام من لم يفردها بكتاب خاص مستقل بنفسه ، بل جعلها قسما من كتابه فى التاريخ العام او فى تراجم الرجال ، ونجد هذا عند الطبرى المؤرخ المتوفى سنة ٣١٠ هـ فى كتابه المشهور ، وعند ابن الجوزى المؤرخ المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، وعند ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ فى كتابه « الكامل » وعند الامام الذهبى المؤرخ الحافظ المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى موسوعته التاريخية الكبرى المسماة « تاريخ الاسلام » ، وعند ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ هـ فى كتابه الضخم « البداية والنهاية » ، وعند الامام أبى زكريا النووى المتوفى سنة ٦٧٦ هـ فى كتابه المشهور « تهذيب الأسماء واللغات » ، وعند أبى الحجاج المزى المتوفى سنة ٧٤٢ هـ فى كتابه « تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » وعند الديار بكرى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ فى كتابه « الخميس فى احوال أنفس نفيس » ولسنا هنا بسبيل احصاء هذا الكون من سيرة الرسول الذى لم يفرده كاتبوه بمؤلف خاص ، بل جعلوه قسما من مؤلفاتهم.

وقد أفاد الناشرون المعاصرون من هذه السيرة النبوية غير القائمة بذاتها ، ففصلوها من كتبها الأصلية ، ونشروها على حدة ، وبهذا أضافت ثروة جديدة الى حصيلة المكتبة العربية فى السيرة النبوية .

ولقد بلغ من طول هذه السيرة الملحقة للرسول عليه السلام فى بعض المصنفات أنها بلغت من الضخامة وعدد الصفحات حدا يجعلها كتبا مستقلة . فسيرة الرسول فى كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير — مثلا — تبدأ فى صفحة ٢٥٢ من الجزء الثانى ، ثم تمضى فتحتل الأجزاء الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس من الكتاب كله الذى يقع فى اربعة عشر جزءا . وسيرة الرسول فى كتاب « الكامل » لابن الأثير تحتل قرابة اربعمائة صفحة من الجزاين الاول والثانى من هذا الكتاب ، وقس على هذا سيرة الرسول فى كتاب تاريخ الطبرى .

على ان الذى يلاحظ أن كثيرا من اخبار السيرة النبوية فى كتب السيرة المفردة والملحقة تكاد تتشابه وتتفق الفاظها وعباراتها ورواياتها لانها جميعا تأخذ من معين واحد او ينقل بعضها عن بعض . وهى كلها تتشابه فى الحرص الشديد على جمع الأخبار النادرة والشاردة اكثر من حرصها على التحقيق والتمحيص ، الا ما نجده من تحقيقات ابن هشام لأشعار السيرة وشعرائها ، والا ما نجده عند السهيلى فى كتابه « الروض الأنف » من بعض الزيادات والتعليقات المفيدة . أما تحليل المواقف ، وتعليل الاحداث ، وتفسيرها ، والمقابلة بين الروايات ، والدراسات المتكاملة للظروف والملابسات ، والمقارنات بين المواقف ، والكشف عن الجوانب المتعددة من حياة الرسول ، ودراسة الرجال والأحداث على ضوء العلم الحديث فلا نجده الا فى كتب السيرة النبوية فى العصر الحديث التى كانت موضوع دراستنا فى مقال خاص نشر فى عدد سابق من هذه المجلة .

والمرجو أن نلتقى ان شاء الله فى بحث قادم بجوانب اخرى طريفة من سيرة الرسول جمعناها ولممنا أطرافها من قراءات متعددة فى هذا الحقل الخصيب ..



غـــــيروا

اوحى الله عز وجل الى نبى من الأنبياء : انه ليس من اهـــل بيت ولا اهل دار ولا اهل قرية يكونون لى على ما احب فيتحولون عن ذلك الى ما اكره الا تحولت لهم مما يحبون الى ما يكرهون ، وليس من اهل بيت ولا اهل دار ولا اهل قرية يكونون لى على مـــا اكره فيتحولون من ذلـــك الى ما احب الا تحولت لهم مما يكرهون الى ما يحبون .

الشافعى والعـــلم

قيل للشـافعى : كيف شهوتك للعلم ؟ قال : اسمع بالحرف ممـــا لم اسمعه ، فتود اعضائى أن لها اسماعا تتنعم به مثلما تنعمت أذناى .
قيل له : فكيف حرصك عليه ؟ قـــال : حرص الجمـــوع المنوع فى بلوغ لذته للمال .
قيل له : فكيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها ليس لها غـــيره .

مبـــــدع الجسم

اجرى احد الجراحين عملية لسيدة ، وجاءت السيدة لتشكره ، فقال لها : يا سيدتى ما أنا الا كحائك الثياب ، والفضل كله يرجع الى مبـــدع الجسم (الثوب) الذى جعل فيه حيوية يتجدد بها كل يوم ، فجسمك يعمل ليل نهار بغير توقف على تجديد خلاياه ويرتق ما به من خدوش وجراح ، ويسد ما فيه من ثغرات وقرح ، وان كل ما يعمله الجراح هو قص شىء من الجسم او خياطته :
فالفضل والشكر لله مبدع الجسم .

الصـــــداقـــة

يروى أن هذيلا اصابت دما فى بعض العرب ، فأسر اصحاب الدم رجلين من هذيل متصادقتين ، فقالوا لهما : أيكما أشرف ، فنقتله بصاحبنا ؟ فقال كل واحد منهما : انا ابن فلان الحسيب النســـيب فاقتلونى ، وخلوا صاحبى : فكل بذل نفسه للقتل دون صاحبه ، فلما عيوا بـــأمرهم صفحوا عنهما ، وقالوا : « هذا التصافى لا تصافى المحلب » مثل عربى ومعناه هذه هى الصداقة لا صداقة المنادمة على الشراب .

شمع الفتيلة

هذا تعبير عامى طريف ، ومعناه (هرب فى نصب واحتيال) وله حكاية لطيفة :

يروى أن سلطانا سمع بمهارة نصاب محتال ، فاستدعاه وقال له : انى اجزل لك العطاء ان امكنك ان تنصب على ، فقال له : اعطنى الفا اشترى بها (عدة النصب) : فأعطاه ، وامر من يلازمه حتى لا يهرب ، ثم حضر بعد مدة بعدته وادواته ، ونصب السلطان سرادقا دعا اليه من شاهد نصب النصاب .

وكان مما أحضره النصاب بكرة خيط كبيرة ، فتقدم الى السلطان وقال له : امسك هذا الطرف ، وانا اشمع الفتلة لألعب بها لعبتى ، فأمسك السلطان طرفها ، واخذ النصاب يشمع الفتلة ويتراجع رويدا رويدا حتى اختفى عن الأنظار وبحثوا عنه فلم يجدوه وبذلك تمت لعبته .

ما قل ودل

● لا يؤمن بربوبية القوة الا شبح الضعفاء .

● الف قول لا يساوى فى الميزان عملا واحدا .

● بالضغط والتضييق تلتحم الأجزاء المبعثرة .

حلال المشكلات

كان فى القرية رجل يدعى عم على يلجا اليه أهلها فى حل مشكلاتهم .

وحدث ان ثورا ادخل راسه بقرونها فى (زير) فذهب الناس الى عم على يطلبون حل هذه المشكلة ، فاشار عليهم أولا بقطع رقبة الثور فقطعوها ، وبقيت المشكلة كما هى اذ بقيت الراس بقرونها فى الزير ، فذهبوا اليه مرة ثانية يستشيرونه ، فاشار عليهم بكسر الزير .

وما اكثر الذين على شاكلة عم على فى حل المشكلات .

دابة عمرو

ركب عمرو بن العاص بغلة مسنة واجتاز بها منازل امراء الصحابة وكبار القواد فى الفسطاط ، فقال له أحدهم :

اتركب هذه البغلة ايها الأمير وانت من اقدر الناس على امتطاء اكرم ناقة بمصر .

فقال : لا ملل عندى لدابتى ما حملت رجلى ، ولا لامراتى ما احسنت عشرتى ، ولا لصديق ما حفظ سرى ، فان الملل من كواذب الأخلاق .

اصطناع الرجال

استدعى يحيى بن خالد البرمكى ابنه ابراهيم يوما ، ودعا مؤدبه ، فساله عن حاله فقال :

بلغ من الأدب كذا ، وحفظ من العلوم كذا ، قال ليس عن هذا سالت ، قال : قد اتخذنا له من الضياع كذا وغلته كذا ، قال : ولا عن هذا سالت .. انما سالت عن سيادته وبعد همته . وهل اتخذتم له فى اعناق الرجال مننا ، وحببتموه الى الناس ؟ قال : لا . قال : فبئس العشراء انتم والأصحاب . هو والله احوج منه الى ما قلتم ، ثم امر بحمل خمسمائة الف درهم اليه ، ففرقت على قوم لا يدرى من هم .



الألم يولد الحركة والعمل ، والحركة تنتج الخير وتحقق التقدم ..

والحرمان يؤدى الى التمرد والنقمة ، والتمرد قد يصحح الأوضاع .

والقسوة فى الحياة المعيشية قد تسبب الانفجار ، والانفجار قد يحطم الحواجز ..

وشظف العيش وخشونة الفراش ينبتان هامات الرجال العظام الذين لا تلين لهم قناة .

والانغماس فى المتع واللذات آفة التخلف والضياع ، والتخلف داء وبيل لافناء الأمم كالموت البطىء .

هذه ومضات فكرية مرت بخاطرى مستقاة من الواقع الملموس قبل الكتابة فى الموضوع ، وهى فى الحقيقة تصور عواقب الترف الوخيمة وغوائل الاسراف فى اجتناء اللذات واهواء المادة وشهوات المال ، مما يكون له اسوأ الأثر فى تربية الجيل الصلبة ، ولا سيما جيلنا العربى او المسلم الذى يعيش الآن ضجيج التأخر والتخلف ، ثم يروح سادر الخيال يتأمل تحقيق العدل ، والانصاف والرحمة والاستقلال المادى والمعنوى من عدو ماكر يخطط لاضعاف امتنا وابقائنا فى ظلمات الماضى ولكن هل يرجى الخير من الأفاعى ، او ينتظر الدواء الشافى من عقارب السوء ، وذئاب البشرية الضارية ؟ !

لقد تقدمت البشرية فى هذا العصر تقدما سريعا ، وقامت المدنية الحاضرة كما هو مشاهد على دعائم اربعة : العلم والمال والنظام والأخلاق القويمة فى المعاملات ، فكلما توفرت هذه الأركان فى شعب تحقق له

في إفساد التربية والأخلاق والمجتمع

للدكتور: وهبة الزحيلي

العزة والرقي والنهوض ، وكلما تجردت امة عن هذه الدعائم اصابها الوهن والضعف والانحطاط والتأخر ، بل انه اذا حدث خلل أو نقص او تقصير فى هذه الأسس الراسخة تعثرت الأمة فى طريقها ، وضلت الهدف فى مسيرتها ، وتعقدت سبل النجاة أمامها .

ونحن العرب والمسلمين فى هذه الأيام لم يكن سبب تأخرنا هو الجهل التام ، والفقر ، والفوضى ، وانعدام الأخلاق ، وانما داؤنا فى نقص العلم والمعرفة ، وسوء التدبير ، وضعف الارادة ، وانحراف الخلق ، والاهتمام بالمظاهر ، والحرص على ترف الحياة والشح بالمال فى سبل الخير العام .

ويهمنى الآن بحث الداء الأخير الذى هو الانغماس فى الترف والتقلب فى أعطاف النعيم والتزاحم على مطالب الدنيا الخاصة وعدم الالتفات الى المصالح العامة ، وهذا لأن ترف الأغنياء العرب والمسلمين واضطرار الناس الى تقليدهم ، والاهتمام بالمظاهر الجوفاء ، والكماليات الظاهرة ، والأوضاع السطحية البراقة ، أدى كل ذلك الى اهمال واجبات الحياة الحرة الأساسية فى توطين النفس على الدفاع بحق عن حرمات البلاد ، واعداد المواطن اعدادا صحيحا لمجابهة العدو ، وتهيئة الامكانيات المادية والمعنوية التى تتطلبها الظروف والحاجيات الحاضرة .

وهذا بعينه كان من أسباب سقوط دول عظمى فى تاريخنا المجيد ، فقد كان تفاقم المفاسد الاجتماعية من تسرى واقتناء جوارى واستهتار بعض الخلفاء ، وانغماسهم فى اللهو ، وشيوع حياة البسطة فى اللذاذات والترف والمجون فى أوساط الناس ، هو السبب فى سقوط الدولة العباسية ، كما أن اضاعة الأندلس ـ الفردوس المفقود ـ وذهاب عظمة الدولة الأموية عنها كان ضحية الغطرسة والترف والوقوع فى حمأة المادية الطاغية والأنانية الشخصية عند الأمراء وأتباعهم .

وتجنبا لهذه الآفات والأمراض الاجتماعية الفتاكة حض الاسلام

على الاعتدال فى المعيشة والقناعة والاقتصـــاد ، ونعى على الاسراف والتبذير ، كما نعى على الشح والتقتير ، فالمسلم الصادق الايمان هو من اعتدل فى شئون معيشته ، والتزم القصد ، وابتعد عن الحرام ، ولم يفتر بالجاه ولا بالمال ولا بالثروة ، ولم ينغمس فى الترف ولم يتجاوز حدود الشرع والعرف الصحيح فى طعامه وشرابه ومسكنه وأثاثـه وافراحه واحزانه .

ففى القرآن الكريم نهى صريح عن الطمع فى الدنيا والغـرور بها بعد أن يكون الانسان قد بذل وسعه ، وعمل واجبه ، ووصل الى ما تيسر له ، فقال سبحانه : « فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » « ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور » « انما أموالكم وأولادكم فتنة » وفى آية أخرى يمدح الله من قنع فى الدنيا وعف فيها : « للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهـل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا » .

وهناك اى تحض على التزام الاعتدال فى الانفاق منها : « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلـك قـواما » « ولا تجعـل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسـورا » « وأن المسرفين هم أصحاب النار » ووردت أحاديث نبوية كثيرة فى شأن الاقتصاد فى المعيشة ، منها قوله صلى الله عليه وسلم : « ما عال من أقتصد » « التدبير نصف العيش » « ثلاث منجيات : خشية الله تعالى فى السر والعلانية ، والقصد فى الغنى والفقر ، والعدل فى الرضا والغضب » « ليس الغنى عن كثرة العرض ــ المال ــ ولـكن الغنى غنى النفس » « قد أفلح من أسلم ، ورزق كفافا ، وقنعه الله بما آتاه » .

وليس القصد من مدح القناعة الترغيب فى البطالة والكسل والخلود الى الراحة ، وانما المطلوب توفر الرضا بالرزق الذى يؤتيه الله للانسان بعد الكسب وبذل الجهد والبحث عما خبأه الله للبشرية فى هذا الكون ، وهذا مما يجعل الشخص بعدئذ مطمئنا مرتاح النفس هادىء البال غير ساخط ، ولا متبرم ، وانما يعمل لخيرى الدنيا والآخرة ، قال ابو حازم : « ثلاث من كن فيه كمل عقله : من عرف نفسه ، وحفظ لسانه ، وقنع بما رزقه الله عز وجل » . .

ويؤكد الاسلام حرصه على تنبيه المسلم الى حساب الله له على كل حال فى السراء والضراء ، كيلا تكون قلة المورد سبيلا الى الكفر ، أو كثرة المال والاستغناء طريقا الى البطر والأشر والطغيان ، فقال تعالى محذرا من عاقبة المصير المحتوم والحساب على المال ايرادا وانفاقا : « كلا ان الانسان ليطغى . ان رآه استغنى . ان الى ربك الرجعى » قال عبد اللـه ابن عمر رضى الله عنهما : « منهومان لا يشبعان : صاحب العلم ، وصاحب الدنيا ، ولا يستويان ، فأما صاحب العلم فيزداد رضا الرحمن ، وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان . ثم قرأ عبد الله : « كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى » وقال للآخر : « انما يخشى اللـه من عباده العلماء » . وقد روى هذا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا » وفى حديث قدسى : « عبدى خلقتك لعبادتى فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعنب ، فان أنت رضيت بما قسمت لك ارحت نفسك وكنت عندى محمودا ، وان لم ترض بما قسمت لك ، فوعزتي وجلالى لأسلطن عليك الدنيا ، فتركض فيها كما يركض الوحش فى البرية ، ولا ينالك الا ما كتبت لك ، وكنت عندى مذموما » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان روح القدس نفث فى روعى أن لا تموت نفس الا بعد ان تستوفى رزقها واجلها ، فاتقوا الله واجملوا فى الطلب » .

فهذه النصوص التشريعية او الأخلاقية تنبىء عن واقع صحيح يتطابق مع أحداث الزمان ، ونوازع الناس وأهوائهم ، وحبهم المنافسة والمفاخرة،والمكاثرة بالأموال والأولاد،واطايب الحياة،مما يضر بدين الانسان وعلاقاته مع أبناء مجتمعه ، لذا قرر العلماء أن « أصلح الأمور الاعتدال فى كل شىء » ، وقال الامام الغزالى وابن قدامة المقدسى : « غوائل المال وآفاته دينية ودنيوية ، أما الدينية فثلاث :

الأولى : انه يجر الى المعاصى غالبا ، لأن من استشعر القدرة على المعصية انبعثت داعيته اليها . والمال نوع من القدرة يحرك داعيته الى المعاصى ، ومتى ييئس الانسان من المعصية لم تتحرك داعيته اليها .

الثانية : انه يحرك الى التنعم فى المباحات ، حتى تصير له عادة والفا ، فلا يصبر عنها ، وربما لم يقدر على استدامتها الا بكسب فيه شبهة ، فيقتحم الشبهات ، ويترقى الى آفات من المداهنة والنفاق .

الثالثة : وهى التى لا ينفك عنها احد ، وهو انه يلهيه ماله عن ذكر الله ، وهذا هو الداء العضال ، فكل ما شغل العبد عن الله فهو خسران .

ومن جملة الآفات الدنيوية : ما يقاسيه ارباب الأموال من الخوف والحزن والغم والهم والتعب فى دفع الحساد وتجشم المصاعب فى حفظ المال وكسبه » .

هذه بعض الآثار الظاهرة التى يعانيها اصحاب المال ، وهناك آثار اعمق واخطر لما لها من مفعول جسيم وبعيد الاثر فى حياة الفرد والجماعة .

فالترف أو تنعم رب المال يؤثر فى صحة صاحبه وصحة أولاده ، حتى ليجد المرء أمراضا جسدية مستعصية أحيانا يقال لها : «أمراض الأغنياء» . أما التأثيرات الخلقية والفكرية الأخرى بالنسبة للأبناء والأسرة فلا علاج لها فى مستقبل الايام ، اذ ينشأ الولد فى كنف المال مترع النفس ممتلىء اللذات ، فلا يندفع الى تكوين شخصيته تكوينا علميا وواقعيا صحيحا ، وانما نجد عنده غالبا الخوف والهلع ، والضعف والجبن والفتور ، والميوعة واللين ، وسطحية المحاكمة والتفكير ، وبطء الحركة والانتاج ، قال الامام ابن الجوزى : « اعلم ان الصبى أمانة عند والديه ، وقلبه جوهرة ساذجة ، وهى قابلة لكل نقش ، فان عود الخير نشأ عليه ، وان عود الشر نشأ عليه ، وكان الوزر فى عنق وليه ، فينبغى أن يصونه ويؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ، ويحفظه من قرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ،

ولا يحبب اليه الرفاهية ، فيضيع عمره فى طلبها اذا كبر ، بل ينبغى أن يراقبه من أول عمره فيعوده الأخلاق الطيبة ، وذلك علامة النجاح ، وهى مبشر بكمال العقل عند البلوغ ، وهذا يستعان به على تأديبه بحياته .

ولدك جزء منك ، اختر لجزئك ما تشاء ، الولد نعمة وفخار ، أو نقمة وعار ، والخيار اليك ما دام زمامه بيديك . ويظل يربيه ويفهمه الأخلاق من الثالثة من عمره حتى العاشرة ، ويصونه من قرناء السوء حتى العشرين وبعدها يتركه حرا . »

فالتعود على التنعم مجلبة النقائص والقبائح ، ودليل العجز والقصور ، اذ أن الغنى لا يدوم ، والشخصية القوية هى التى تثبت وجودها بنفسها وبمقوماتها ، قال تعالى : « اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة ، وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفرا ، ثم يكون حطاما ، وفى الآخر عذاب شديد ، ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور » أى ما الدنيا الا عرض زائل يتمتع ويغتر بـه كل من زين له الشيطان الأمانى الكاذبة والمفاتن الزائلة . ويرشد الى ذلك ما هو مشهور على الألسنة : « اخشوشنوا فان النعم لا تدوم » واصله حديث رواه الطبرانى فى الكبير وغيره عن القعقاع بن ابى حدرد مرفوعا : « تمعددوا واخشوشنوا واخلولقوا وانتضلوا وامشوا حفاة » . ومعنى « تمعددوا » : تشبهوا بمعد بن عدنان لكونه كان لا يبالى بأكل ولا لباس «اخشوشنوا» : أى الزموا خشونة اللباس « اخلولقوا » : البسوا الثياب الخلقة البالية ، « انتضلوا » : ارموا السهام للسبق « امشوا حفاة » حث على التواضع ونهى عن الافراط فى الترفه والتنعم » .

وليس القصد من هذا الحديث ــ علما بأنه ضعيف ــ سوى ضرورة التدرب أحيانا على قسوة الحياة وخشونة العيش وتربية الناس تربية قوية للصمود فى وجه العدو ، عن معاذ رفعه : « اياكم والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين » فليس معنى الحديث اذا اهمال متطلبات الحياة الضرورية المعتادة : لأن التغذية وانتعال الاحذية مثلا أساس فى درء الأخطار عن الجسد والصحة ، بل ان الغذاء اللازم عماد قوة البدن والعقل سواء فى اثناء السلم ام فى الحرب والاستمتاع بالطيبات فى حدود القدر المعتاد مما أباحه الله وأحله فى قرآنه : « يأيها الناس كلوا من طيبات مارزقناكم . . » « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين » « ولا تنس نصيبك من الدنيا ، واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين » .

واذا كان من اهم ما يحتاجه الاسلام والعرب فى الماضى والحاضر هو اعداد الرجال الأشداء المحاربين وتهيئة كل الامكانيات والوسائل اللازمة لمواكبة سير المدنية والتطور ومتطلبات الحرب الحديثة فقد ندد الرسول صلى الله عليه وسلم بالاقبال على الحياة الناعمة فى زمن يتعين فيه الجهاد ، روى ابن عمر : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا ضن

الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة (١) واتبعوا اذناب البقر (٢) ، وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، أنزل الله بهم بلاء فلا يرفعه ، حتى يراجعوا دينهم » رواه أحمد وأبو داود ، ولفظه : « اذا تبايعتم بالعينـة ، واخذتم اذناب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى دينكم » .

وبهذا يظهر أن الاسراف والترف يفسدان اخلاق الرجال ، اذ بهما تضيع الحقوق ، وتزول الدول ، وتفقد البلاد ، وتقسو القلـوب ، وينضب الخير من المجتمع ، وتذوب مصالح الناس الاجتماعية فلا يعطف احد على بائس ، ولا يظهر تعاون فى بناء المساجد والمدارس والمشافى ومؤسسات الدفاع ومصانع الحرب مثلا ، ولا تستقر اوضاع سليمة ، ولا تسود أخلاق قويمة بسبب حرص كل شخص على ارضاء أهوائه ، واشباع لذاتـه ، وترفهه فى الحياة ، ومن هنا يمكننا تفسير ما آلت اليه أوساط شبابنا من ضعف وتخنث ، وميوعة ومجون ، واستهتار وتراخ ، قال معاوية رضى الله عنه : « لم أر اسرافا الا وفى جانبه حق مضيع » وبذلك أيضا يمكننا فهم شيوع عادة تختم الرجال بالذهب ولبس الحرير ، مع أن الاسلام ـــ كما هو معروف ـــ حرمهما على الرجال تحريما ابديا غير مؤقت ولا معلل بزمن لمنافاتهما طبيعة الرجولة الحقة ولانهما مظهر التـرف ، ومبعث الخيـلاء والعجب والكبرياء ، فضلا عما فى ذلك من تشبه بالأعاجم غير المؤمنين ، قال بعض الحكماء : « ليست العزة فى حسن البزة ، فـان التنعم بلبس الثياب ، والتجمل بحسن الزى يشغل العبد حتى لا يعبأ بشىء من أمر دينه ميلا لدنياه ، وقلما يخلـو صاحبه من العجب » . .

فعلى العرب والمسلمين حكاما ومحكومين ، دولا وافرادا ان يوجهوا طاقاتهم وميزانياتهم فى اعداد الجيل اعدادا قويا حسب متطلبات الحرب المفروضة علينا فرضا ، بحيث لا يكون هناك أثر لترف او مظهر فارغ أو كماليات وزخارف خادعة . وهنا يمكن أن اتساءل : لماذا ندعى الفقر الحربى ثم لا نحسن معالجته بالاختراع والتصنيع والزراعة الحديثة ؟ وذلك مثلما فعلت اليابان التى اقامت نهضة شامخة فى غضون خمسين سنة ، حتى انها نافست بصناعاتها ومنتجاتها فى أسواق العالم الاقتصادية أحسن ما أنتجه الاوروبيون . وعندنا بحمد الله الموارد الطبيعية الضخمـة والأدمغـة الصالحة والبيئة الممتازة والاصالة المدنية التى ورثناها من تاريخنا العريق الذى تمكن فيه المسلمون من تأسيس مدنية رائعة بين العرب وغيرهم ، وهذا نداء القرآن عام فى كل شىء من أنواع الجهاد الحربى والاقتصادى : « يأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل اللـه اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل . الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » .

---

(١) وهو ان يبيع الشخص شيئا من غيره بثمن مؤجل ويسلمه الى المشترى ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقد اقل من ذلك القدر تحايلا على اكل الربا .

(٢) المراد الاشتغال بالحرث والزرع .



بين اللهجة القرشية واللهجات العربية

١ ـ اللهجة القرشية

من المكرر المعاد القول بأن القرآن الكريم نزل بلســـان عربى مبين فهذه حقيقة لا يختلف فيها أحد ، اللهم الا من اعمى الله ابصارهم وطمس على قلوبهم .

وقد اكد الله سبحانه هذه الحقيقة حيث اعادها اكثر من مرة فى كتابه العظيم حيث يقول ـ « وهذا لسان عربى مبين (١) » .

« نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (٢)

« انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (٣)

« وكذلك انزلناه حكما عربيا » (٤)

« وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا » (٥)

« كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا » (٦)

« وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا » (٧)

« انا جعلناه قرآنا عربيا » (٨)

« وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » (٩)

ويذكر الرواة والعلماء انه نزل بلهجة قريش ، ولهجة قريش ، هى اللهجة النموذجية الأدبية ، وقد نضجت حتى وصلت الى الذروة فى فصاحتها وبلاغتها .

وقد شاع بين العلماء هذا القول ، وسجلته كتب الرواية والتاريخ حتى أوشك أن يكون حقيقة مؤكدة .

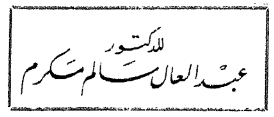
وقد أرجع بعض العلماء المحدثين هذا الانتصار الكبير للهجة القرشية فى مجال الفصاحة والبلاغة الى عدة عوامل أجملها فيما يأتى :

١ ـ العامل الجغرافى

لأن قريشا تسكن منطقة مستقلة تسمى حجازا لها يحفظها من التأثر البعيد المدى بالمؤثرات الخارجية ، ولذلك احتفظت بخصائصها اللغوية .

٢ ـ العامل الدينى

فقد كانت قريش سدنة البيت ، والبيت محجة العرب فى الجاهلية



٣ ـ العامل الاقتصادى

فمعظم تجارة العرب كانت فى أيدى قريش يجوبون بها طرف الجزيرة شمالا ، وجنوبا ومجامع العرب واسواقها بعد الحجيج كانت تعقد على مقربة من مكة .

٤ ـ العامل السياسى

وهو مرتب على العوامل السابقة ، وقد يسر ذلك كله أسباب النفوذ لقريش فى انحاء الجزيرة (١٠) .

ومن القدماء الذين اثر عنهم هذا القول « أبو نصر الفارابى » فقد قال فى كتابه المسمى بـ « الألفاظ والحروف » كانت قريش أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ ، واسهلها على اللسان عند النطق (١١)

من هذا الذى قدمت تبين لنا فى وضوح السر الذى من اجله نزل القرآن الكريم بهذه اللهجة القرشية ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر به قومه « افصح العرب ، وهو من قريش ، وقريش من ولد اسماعيل وولد اسماعيل أفصح من اليمن

الذين هم من ولد يعرب بن قحطان » (١٢) .
وحينما كتب المصحف قال عثمان رضى الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة « اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم » (١٣) .
قال الزهرى : فاختلفوا فى « التابوت » فقال زيد : هو « التابوه » وقال النفر القرشيون هو « التابوت » فرفع الأمر الى عثمان فقال : اكتبوه بلسان قريش ، فان القرآن نزل بلسانهم . (١٤)
وفى رأيى أن نزول القرآن الكريم باللهجة القرشية دون غيرها من اللهجات العربية لمر فيه نظر ، فان القرآن الكريم اشتمل على كثير من لهجات العرب التى انتشرت فى الجزيرة العربية ، ولو كان الأمر كما يقول هؤلاء المؤرخون — لما رأينا بعض الصحابة يرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ليفسر له بعض كلمات القرآن التى غمض عليه معناها ، فقد سأله السائل فى قوله تعالى : « ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » (١٥) .
قائلا : واينا لم يظلم نفسه ؟ فيفسر له النبى صلى الله عليه وسلم هذا الظلم بالشرك مستشهدا بقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » (١٦)
وايمانى بهذا الرأى يبعد ما يدعيه بعض المحدثين من أن الاسلام فرض على العرب جميعا لغة عامة هى لغة قريش ، مع أن الاسلام برىء من هذا الادعاء ، فقد نزل القرآن بسبعة أحرف ليبسر للعرب جميعا الانتفاع به والالتصاق بأحكامه وآدابه .
وقد بينت ذلك فى بحث سابق نشر فى « مجلة الفكر الاسلامى »(١٧)
ومالى اذهب بعيدا ، فقد وضع الأمر فى نصابه رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما رد على بعض أصحابه الذين سألوه : يا رسول الله : انك لتأتينا بالكلام من كلام العرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقا فقال : ان ربى علمنى فتعلمت (١٨) أليس يدل هذا على أن النبى عليه السلام الذى تربى فى قريش ، ونشأ بين أحضانها علمه ربه كلام العرب ، لأنه أرسل اليهم خاصة والى الناس عامة ؟ وكيف يتحدى العرب بهذه المعجزة الخالدة ولغة القرآن بلسان قبيلة واحدة ؟
ان القول بأن القرآن الكريم انما نزل بلسان قريش وحدها يتعارض مع النصوص القرآنية ذاتها فالنصوص السابقة التى سجلتها فى مقدمة هذا البحث تؤكد أن القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ، فكيف أتحكم فى تفسير اللسان العربى بأنه اللسان القرشى ؟ وهل قريش وحدها العرب ؟ ذلك أمر لا يتقبله المنطق .
وكيف نفسر قول أبى بكر حينما سأله سائل عن قوله تعالى : « وكان الله على كل شىء مقيتا » (١٩) فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، ان قلت فى كتاب الله ما لا أعلم (٢٠) وقول عمر رضى الله عنه حينما قرأ على المنبر « وفاكهة وأبا » (٢١) فقال : هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم رجع الى نفسه فقال — لعمرك ان هذا هو التكلف يا عمر(٢٢) فلو كان أبو بكر رضى الله عنه يعلم معنى « مقيتا » لما وقف حائرا أمامها ولاذ بالصمت فى مجالها ، ولو كان عمر رضى الله عنه يعرف معنى «أبا» لما تساءل هذا التساؤل .
كل ذلك يفسر أن القرآن الكريم (اختص بدقيق المعانى ، وكنوز

الأسرار ، وعلو مرتبته فى الفصاحة ، ومباينته لكلام فصحاء العرب ، وكل ذلك فيه دلالة على شرفه ، وانه فائق على غيره من سائر الكلام كله بحيث لا يدانيه كلام (٢٣) وأحب أن أبين فى هذا المقام أن العرب يختلف بعضهم عن بعض فى الالمام بهذه اللغة الواسعة التى انتشرت فى أرجاء الجزيرة العربية ، وتعددت الى لهجات ، ولا أبالغ اذا قلت : ان القبيلة الواحدة قد يعز على بعض افرادها أن يحيطوا بقاموس لهجتها ومن هنا نعرض الى قضية أخرى ، وهى قضية غريب القرآن .

٢ ــ غريب القرآن :

يوضح لنا « الرافعى » فى كتابه « اعجاز القرآن » معنى الغريب فيقـــــول :

فى القرآن الكريم الفاظ أصطلح على تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة ، فان القرآن منزه عن هذا جميعه ، وانما اللفظة العربية ها هنا هى التى تكون حسنة مستغربة فى التأويل ، بحيث لا يتساوى فى العلم بها أهلها ، وسائر الناس » (٢٤)

وفى مجال الغريب ظهر ابن عباس رضى‌الله عنهما ــ مفسرا ومبينا، وكما يحدثنا التاريخ أنه أول صحابى خاض فى معمعة هذا الغريب ، وأنه وضع الأسس الأولى لكل من جاء بعده من أصحاب الغريب ، وأسئلة نافع بن الأزرق له تدل على قدم راسخة فى معرفة لغات العرب ، والعلم بمواقع كلامها ، ومدلولات الفاظها ، واليك أيها القارىء هذه الأمثلة :

١ ــ سأله نافع عن قول الله تعالى : « عن اليمين وعن الشـــمال عزين » (٢٥) .

قال ابن عباس : حلق الرفاق ، قال نافع ، وهل تعرف العرب ذلك؟ قال نعم ، اما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجـــاءوا يهرعـــون اليه حتى
يكونوا حـــول منبره عـــزينا .

٢ ــ وسأله عن قوله تعالى : « وابتغوا اليه الوسيلة » (٢٦) قال : الوسيلة ، الحاجة اما سمعت قول عنترة :

ان الرجـــال لهم اليك وســـيلة
ان ياخذوك تـــكحلى وتخضبى .

٣ ــ وسأله عن قوله تعالى : « اذا أثمر وينعه » (٢٧) قال : نضجه وبلاغه .

أما سمعت قول القائل :

اذا ما مشت وسط النســاء تاودت
كما اهتز غصن ناعم النبت يانـــع

وسأله عن قوله تعالى : « أفلم ييأس الذين آمنوا » (٢٨) قال : أفلم يعلم .

٤ ــ اما سمعت قول مالك بن عوف :

لقد يئس الأقـــوام انى أنا ابنـــه
وان كنت عن ارض العشـــيرة نائيا

٥ ــ وسأله عن قوله تعالى : « ولا تضحى » (٢٩) قال : لا تعرق من شدة حر الشمس .

اما سمعت قول القائل :

رات رجلا اما اذا الشمس عارضت

فيضـــحى واـمــــا بالعشى فيخصر

ويعلق الامام السيوطى على هذه المسائل العديدة فى الغريب ، والتى ذكرت طرفا منها فى هذا البحث بقوله :

« هذا آخر مسائل نافع بن الأزرق ، وقد حذفت منها يســــيرا نحو بضعة عشر سؤالا ، وهى أسئلة مشهورة أخرج الأئمة افرادا منها بأسانيد مختلفة الى ابن عباس .

واخرج ابو بكر بن الانبارى فى كتاب « الوقف والابتداء » منها قطعة « وأخرج الطبرانى فى معجمه الكبير منها قطعة » (٣٠) .

وعلى الرغم من انكار الدكتور طه حسين فى كتابه «الأدب الجاهلى» قصة استدلال ابن عباس على الكلمات القرآنية الغريبة بالشعر العربى ، فاننا لا نوافقه على هذا الانكار ، ذلك لأن الدكتور يعتمد على انكاره هذا بأن هذه القصة قد وضعت فى تكلف وتصنع لتثبت أن الفاظ القرآن الكريم كلها مطابقة للفصيح من لغة العرب ، أو أن هذه القصة مدسوسة عليه فقد كان له مولى وهو « عكرمة » يدس عليه كثيرا من الأخبار (٣١) والواقع انه لا داعى لهذه الاحتمالات أو هذه الافتراضات فعبد الله بن عباس يعلم أن الشعر ديوان العرب ، وهو المصدر الوحيد الذى يلجأ اليه فى تفسير هذا الغريب ولعله كان متأسيا فى منهجه هذا بما رواه : أن رجلا ســـأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أى علم القرآن افضل ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم عربيته فالتمسوها فى الشعر (٣٢) .

هذا فضلا عن أن ابن عباس رضى الله عنه تميز عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بميزة التأويل ، وهى مـــيزة لا تتأتى بالممارسة ، أو تكتسب بالتجربة ، ولكنها الهام من السماء يتفتح له العقل، فيعى ، ويحفظ ما وعاه ، ويتفتح له القلب فيدرك من الأسرار ما لا يدرك غيره ، وكان كذلك ابن عباس ، لأن النبى عليه السلام بشره ، فقال : اللهم علمه التأويل .. (٣٣)

ومن حق القارىء بعد هذا الذى قدمت أن يقول : وما دليلك على أن القرآن الكريم اشتمل على لغات أو لهجات غير اللهجة القرشية ؟ فأقول له ان المحققين من العلماء بينوا لنا كثيرا من هذه اللهجات ، وقد الف فى ذلك اسماعيل بن عمرو المقرىء كتابه « اللغات فى القرآن » وانى اكتفى بذكر طائفة منها فى سورة واحدة هى سورة البقرة ، لتكون دليلا على ما اقــــول .

من سورة البقرة :

(رغدا) آية ٣٥ = الخصب بلغة طىء .

(فأخذتكم الصاعقة) آية ٥٥ = الموت بلغة عمان .

(رجزا) آية ٥٩ = العذاب بلغة طىء .

(خاسئين) آية ٦٥ = صاغرين بلغة كنانة .

(فباءوا بغضب) آية ٩٠ = استوجبوا بلغة جرهم

(واشتروا) آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل

(سفه نفسه) آية ١٣٠ = خسر بلغة طىء

(فلا رفث) آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج

(ثم أفيضوا) آية ١٩٩ = انفروا بلغة خزاعة
(بغيا بينهم) آية ٢١٣ = الحسد بلغة تميم
(وان عزموا الطلاق) آية ٢٢٧ = حققوا بلغة هذيل
(فلا تعضلوهن) آية ٢٣٢ = لا تحبسوهن بلغة أزد شنوءة
(فتركه صلدا) آية ٢٦٤ = أجرد بلغة هذيل (٣٤)

على أن هذه الكلمات عدت غريبة بالنسبة لغير القبائل التى لم تحتو لهجاتها مثل هذه الكلمات أما القبائل التى وردت هذه الكلمات وفق لغاتها فليست بالنسبة لهم غريبة .

ومن هنا كان واجب العلماء أن يتقصوا هذه الكلمات ، وينسبوها الى أصحابها وقد فعلوا تيسيرا لمعانى القرآن الكريم ، وكشفا للدلالات التى تدل عليها هذه الكلمات ، والحق نجد أن العلماء لم يقصروا فى هذا المضمار ، شمروا عن ساعد جدهم وبذلوا كل جهدهم ليذللوا مصاعب هذا الغريب خدمة لكتاب الله وتوضيحا لمعانيه .

ولعلنا اذا بحثنا مدققين عن أول مصنف يطالعنا فى هذا المجال نجده كتاب « مجاز القرآن » لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، فقد نص السيوطى فى كتابه « الوسائل » أن أول من صنف فى غريب القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى لأنه جاء بعد قتادة بن دعامة السدوسى المتوفى ١١٧ هـ وأبى عمرو بن العلاء المتوفى ١٥٤ هـ ، وهما لم يخلفا لنا أثرا مكتوبا ، وانما كانت الأخبار تنقل عنهما مشافهة (٣٥) .

وهذا الكتاب وان كان يحمل اسم المجاز ، فهو فى حقيقة أمره كتاب يدور حول الغريب من الكلمات القرآنية ، وتفسير هذا الغريب بالشعر وكلام العرب .

وبعد هذا الكتاب ظهرت كتب أخرى فى الغريب مثل « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة (٣٦) وكتاب « لغات القرآن » (٣٧) لابى حيان الأندلسى ، وككتاب « اللغات فى القرآن » لاسماعيل بن عمرو (٣٨) وانظر كتب غريب القرآن فى الفهرست لابن النديم تجدها عديدة .

ومن الحق أن أقرر فى هذا البحث أن هذه اللهجات العربية التى وردت فى القرآن الكريم لم تطغ على لهجة قريش ، فمعظم كلمات القرآن الكريم قرشية ، ولكنى أظلم الحقيقة حينما أقول : ان القرآن الكريم فرض لهجة قريش على قبائل العرب والزمهم القراءة بها ، ذلك أمر يخالف منطوق الحديث : انما أنزل القرآن على سبعة أحرف ، وأظلم الحقيقة مرة أخرى لو قلت ان جميع الكلمات القرآنية قرشية بدليل ما قدمت من كلمات وردت فى هذا الكتاب العزيز غير قرشية على أنه من ظلم الحقيقة مرة ثالثة أن أدعى أن اللهجة القرشية تختلف اختلافا كبيرا عن غيرها من لهجة العرب ذلك أمر لا نقبله للأمور الآتية :

١ ـ معرفتنا باللهجة القرشية غير كاملة ، فليس لنا معجم يوضح رصيدها من الكلمات ، حقا ان هناك دراسات دارت حول خصائص اللهجات ، ولكنها محاولات تخطىء وتصيب ، وليس لها من المراجع التى تعتمد عليها غير المعاجم ، وجمعها لم يكن على منهج علمى سليم ، فلم تحاول أن تصنف القبائل ، وتنسب كل لفظ الى مصدره اللهم الا اشارات معدودة لا تغنى شيئا فى مجال الدراسات على أن السيوطى فى «المزهر» يؤكد أن « الذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ

اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس ، وتميم واسد ، فان هؤلاء هم الذين اخذ عنهم اكثر ما أخذ ، وعليهم اتكل فى الغريب ، وفى الاعراب والتصريف ، ثم هذيل وبعض كنانه » (٣٩) .

ومن حقى بناء على هذا أن أقرر : أن لهجة قريش مختلطة بغيرها من اللهجات الأخرى العربية . وان ميزان الفصل للتحكم فى هذه القضية لم يصنع بعد .

٢ ــ من قال : ان قريشا اغلقت على نفسها باب الهجرة أو الرحلة من مكان الى آخر وذلك ببعدها عن الاحتكاك بغيرها من اللهجات الأخرى، فتسلم لها فصاحتها ، ويصان لها لسانها .. ؟

ان هذا القول مخالف لمنطق القرآن الكريم الذى ينص على أن لقريش رحلتين ، رحلة الشتاء والصيف ، وناهيك بهذه الرحلات ، أليس فيها كلمات تتبادل ؟ أليس فيها مسميات جديدة لم تعهدها قريش فى لهجتها ؟ الا يؤثر الكلام بعضه فى بعض ؟ ان قوانين تصارع اللهجات تثبت هذه الحقيقة ، وهى أنه ما دام هناك اختلاط فهناك احتكاك لغة بلغة ، ولهجة بلهجة ، واسلوب بأسلوب مما لا يجعل القول بصيانة هذه اللهجة فى هذه الحالة قولا صائبا .

هذا فضلا عن الاحتكاك اللغوى والأدبى فى أسواق العرب التى كانت تقام فى الجاهلية ولا تنسى ما يفعله موسم الحج من تأثير لغوى كبير ، يقولون : ان قريشا كانت تأخذ من هذه القبائل الموفدة أو التى تختلط بها فى رحلاتهم ما خف وقعه على مسامعهم من الألفاظ الرقيقة والكلمات العذبة الموسيقية ، وعلى مدى السنين تكونت لهجتهم ، ان صح ذلك فهو دليل على أن لهجة قريش خليط من لهجات عديدة تمثل اللهجات العربية فى الجزيرة العربية ، ومن ثم نزل القرآن الكريم بها ، لانها اللهجة التى تتمثل فيها لهجات العرب ولا غرو حينئذ أن تكون اللهجة القرشية التى نزل بها الصورة الحية فى مجال تحدى العرب جميعا أن يأتوا بمثله .

وهذا القول فى نظرى قريب الى الصواب ، لأن لهجة قريش انتخبت من جميع اللهجات ، ولكن حينما نقول : ان لقريش لهجة خاصة فى ألفاظها ، وتراكيبها تختلف عن لهجات العرب المنتشرة فى الجزيرة ، وأن القرآن الكريم نزل بها وحدها فذلك أمر لا يقبله العقل ، لأن فى القرآن الكريم كما قدمت سابقا كلمات كثيرة ليست قرشية الأصول كما نصت على ذلك كتب الغريب ، وكتب المعاجم .

٣ ــ القبائل العربية قبل الاسلام لم تكن تعيش فى عزلة ، ومن ثم كانت لهجاتهم جميعا متقاربة ، يفهم بعضهم بعضا حتى القبائل التى كانت تعيش فى شمال الجزيرة لم تبتعد فى لهجاتها كثيرا عن القبائل التى كانت تعيش فى جنوب الجزيرة ، بل لا أتجاوز الحقيقة اذا قلت : انها لغة واحدة فى صميمها ، ولا يغدو الاختلاف أن يكون الا اختلافا يسيرا فى صفات الحروف من جهر وهمس ، وتفخيم وترقيق وهمز وتسهيل ، وهذا أمر طبيعى يقتضيه التطور اللغوى .

ومما يؤيد ذلك وفد الحجاز عند سيف بن ذى يزن ملك اليمن ، فقد اتجه هذا الوفد وعلى رأسه سيد قريش عبد المطلب بن هاشم ، الى ملك اليمن يخطب ببيانه القرشى ، وسيد اليمن يصغى اليه ، ويستمع

الى شاعر الوفد أمية بن ابى الصلت ، ويفهم ما يقول فى غير غرابة أو غموض (٤٠) .

ومالى اذهب بعيدا ونحن فى عالمنا العربى نتكلم بلهجات عديدة لا شك هى من أم واحدة هى العربية التى تطورت الى هذه اللهجات ، ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الأشكال .

ويعجبنى فى هذا الموقف كلمة الدكتور « غوستاف لوبون » فى كتابه « حضارة العرب » حيث يقول : « واللغة العربية من أكثر اللغات انسجاما وهى مختلفة اللهجات لا ريب فى سوريا وجزيرة » العرب ، ومصروالجزائر وغيرهـــا .

ولم يكن هذا الاختلاف فى غير الاشكال ، فترى المـــراكشى يفهم بسهولة لهجة المصريين ، أو لهجة سكان جزيرة العرب مثلا ، مع أن سكان القرى الشمالية الفرنسية لا يفهمون كلمة من لهجات ســـكان القرى الجنوبية فى فرنسا » .

وقد نقل « لوبون » كلمة الرحالة « بركهارد » الذى يعد حجة فى هذا الموضوع فقال : « نجد اختلافا كبيرا لا ريب فى لهجات اللغـــة العربية العامية اكثر من اية لغة اخرى على ما يحتمل ، ولكنه لا يصعب عليك أن تفهمها جميعا اذا ما تعلمت احداها ، وذلك على الرغم من اتساع البلدان التى يتكلم اهلوها بها » (٤١) .

اما كلمة أبى عمرو بن العلاء : « وما لسان حمير بلساننا ، ولا لغتهم بلغتنا » تلك الكلمة المأثورة عن أبى عمرو ، والتى ترددت فى كتب الرواة — فأحسن تفسير لاشكالها تفسير الدكتور الحوفى فى كتابه « الحيـــاة العربية من الشـعر الجاهلى » (٤٢) حيث يقول : « أن اللغتين عربيتان ، ولكن التطور ، والمكان ، والزمان ، والأحداث ، والألسنة الخ قد شققت من اللغة الواحدة لهجتين ، بدليل قوله (فى رواية أخرى) ولا عربيتهم بعربيتنا ، والعرب يطلقون على اللهجة اللســان » .

٤ — على أن مقياس الفصاحة وقف أمامه العلماء حيارى ، فابن فارس يشيد بلهجة قريش أو بلغتها حيث يقول : « ان قريشا أفصـــح العرب السنة واصفاهم لغة ، ذلك أن الله تعـــالى اختارهم من جميع العرب واختار منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فجعل قريشا قطان حرمه، وولاة بيته ، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون الى مكة للحج ، ويتحاكمون الى قريش فى دارهم ، وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغاتها ، ورقة السنتها اذا اتتهم الوفود من العـــرب تخيروا من كلامهم واشعارهم أحسن لغاتهم ، واصفى كلامهم . فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى سلائقهم التى طبعـــوا عليها ، فصاروا بذلك أفصـــح العرب » (٤٣) والبصريون يشترطون فى الفصاحة أن تصدر من العرب الخلص الذين لم تؤثر فيهم الحضارة ، واعتصموا بالبادية من الاختلاط بغيرهم .

ومن ثم كانوا « يفتخرون على الكوفيين بأنهم يأخذون اللغـــة عن حرشة الضباب ، واكلة اليرابيع ، على حين يأخذها الكوفيون من اكلة الشواريز وباعة الكواميخ (٤٤) .

مع أن لغتنا العربية التى تتمثل فى المعاجم جمعت فى معظمهـــا بروايات البصريين وحسبنا أن نذكر فى هذا المجال أن أول عمل معجمى

قام به الخليل بن أحمد عميد مدرسة البصرة هو معجم العين .

ومن الحق أن نذكر بجانب ذلك أننا لو طبقنا منهج البصريين فى أخذ اللغة لتجنبنا لغة قريش ، لأنها خليط من اللهجات كما قلت سابقا ، ولأن أصحابها كانوا يقومون برحلات عديدة صيفا وشتاء الى أطراف الجزيرة العربية فى اليمن ، وفى الشام ، ولكن الحق يفرض علينا سلطانه فى هذه القضية ، وهو أن لغة القرآن الكريم — كما يقول الفراء — أفصح أساليب العربية على الاطلاق (٤٥) .

من أجل ذلك أحب أن أبين هنا أن لغة القرآن الكريم لم تكن لغة لهجة واحدة ولكن من كمالها أن تكون مشتملة على كثير من لغات العرب الأخرى ليكون التحدى أتم والمعجزة أبلغ .

وقد لمس هذا المعنى الامام ابن الجزرى فأصاب المحز حينما قال : « لو جاء القرآن الكريم كله بالأفصح لكان على غير النمط المعتاد فى كلام العرب من الجمع بين الأفصح والفصيح ، فلا تتم الحجة من الاعجاز اذ يقال مثلا : انه جاء بما لا قدرة للعرب على جنسه ، كما لا يصح أن يقول البصير للأعمى : قد غلبتك بنظرى ، لأن الأعمى يقول له : انما تتم لك الغلبة اذا كنت قادرا على النظر ، وكان نظرك أقوى من نظرى ، أما اذا فقد أصل النظر فكيف تصح المعارضة ؟ » (٤٦) .

ولعلى بعد هذا العرض أكون قد وفيت الموضوع حقه فى قضية غريب القرآن الكريم وآمل أن أكمل هذا البحث بقضية أخرى تعالج ما ورد فى القرآن الكريم من كلمات أعجمية فالى اللقاء فى مقال آخر ان شاء الله .

---

(١) النحل ١٠٣ (٢) الشعراء ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ (٣) يوسف ٢ (٤) الرعد ٣٧ (٥) طه١١٣ (٦) فصلت ٣ (٧) الشورى ٧ (٨) الزخرف ٣ (٩) الأحقاف ١٢ .

(١٠) من مقال للمرحوم الدكتور النجار : مجلة الأزهر مجلد ٢٣ ص ٤٩ (١١) المزهر جـ ١ ص ١٢٨ مطبعة السعادة (١٢) الزينة ج١ ص ١٤٦ (١٣) الاتقان جا ص٥٩ (١٤) الزينة جـ ١ ص ١٤٦ .

(١٥) الأنعام ٨٢ (١٦) لقمان ١٣ (١٧) مجلة الفكر الاسلامى ، العدد التاسع (١٨) المسائل لابن قتيبة : ورقه — ٤ : مخطوط (١٩) النساء ٨٥ (٢٠) مقدمتان فى علوم القرآن ص ١٨٣ .

(٢١) عبس ٣١ (٢٢)مقدمتان فى علوم القرآن ص١٨٣(٢٣) الطرز جـ ٣ ص ٢١٩(٢٤) اعجاز القرآن ص ٧٤ (٢٥) المعارج ٣٧ .

(٢٦) المائدة ٣٥ (٢٧) الأنعام ٩٩ (٢٨) الرعد ٣١ (٢٩) طه ١١٩ (٣٠) الاتقان جـ ١ ص١٣٣

(٣١) الأدب الجاهلى ص ١٠٩ (٣٢) مقدمتان فى علوم القرآن ص ٢٦١ .

(٣٣) مفتاح السعادة جـ٢ ص ٤١٥ (٣٤) اللغات فى القرآن ص ٢٠ ، ص ٢١ .

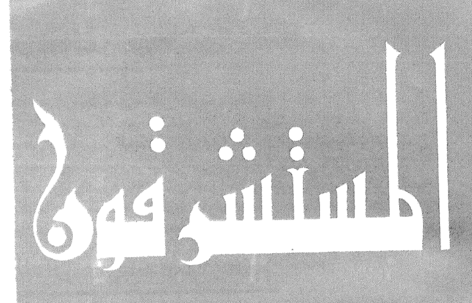
(٣٥) الوسائل فى مسامرة الأوائل ص ٦١٢ (٣٦) مطبوع بتحقيق الاستاذ سيد صقر

(٣٧) مخطوط التيمورية ٧٤ لغة (٣٨) مطبوع (٣٩) المزهر جـ ١ ص ١٢٨ ، الاقتراح:ص٢٤ .

(٤٠) انظر قصة هذا الوفد والتعليق عليه فى كتاب «مولد اللغة» لاحمد رضا العاملى ص٥٦

(٤١) حضارة العرب ص ٥٣٢ (٤٢) جا ص ٤١ (٤٣) المزهر جـ ١ ص ٢١٠ .

(٤٤) حرشة الضباب = الصيادون — اليرابيع = جمع يربوع وهى دويبة . الشواريز الالبان الثخينة الكواميخ = المخللات تشهى بها الطعام (٤٥) العربية يوهان فك ص ٥(٤٦) نقل هذا النص من مقال للمرحوم الشيخ عبد الجواد رمضان نشر بمجلة الأزهر المجلد ٢٢ ص ٦٠٠



وتعدد الزوجات

للأستاذ عبد القادر السبسبي

ان المستشرقة الالمانية (زيغريد هونكة) تحكى فى كتابها ((شمس العرب تسطع على الغرب)) صفحة (٤٧) (وكان تعدد الزوجات فى الجاهلية ضرورة اقتضتها ظروف المعيشة والرغبة فى العدد الكبير من الاولاد لتقوية مركز القبيلة ولتوطيد العلاقات بين مختلف القبائل بالمصاهرة . وبظهور الاسلام استمرت تلك الضرورة نتيجة لبدء الفتوح.الى ان قالت.. فالاسلام قدس الزواج وطالب بالعدل بين الزوجتين او الثلاث او الأربع فى المعاملة ((فان خفتم الا تعدلوا فواحدة)) اليس هذا نصا صريحا يطلب فيه من المؤمنين ان يتزوجوا بواحدة فقط ، ومن ذا الذى يستطيع ان يعدل بين النساء) .

اقول : ان الكاتبة المستشرقة تريد ان تقول فى الأصل لا يوجد تعدد زوجات وان الكتب السماوية لم تبح ذلك . بل هذا التعدد نشأ فى زمن الجاهلية لضرورة اقتضتها الظروف ، وقد استمرت تلك الضرورة بظهور الاسلام نتيجة لبدء الفتوح وتزعم ان الاسلام قد منع هذا التعدد وامر بالرجوع الى التزوج بواحدة فحسب لعدم استطاعة العدل بين النساء مستدلة بقوله تعالى : (فان خفتم الا تعدلوا فواحدة) . ولما كان كلام هذه المستشرقة ومن كان على شاكلتها بان فكرة تعدد الزوجات منشؤها العرب وانها حاجة اقتضتها الضرورة الزمنية هو خلط كمن يخبط خبط عشواء . ولذلك فقد رايت ان الرد عليها وعلى امثالها ضرورى فبدات بما يلى :

١ ـ تعدد الزوجات منشؤه قديم :

ليس تعدد الزوجات بدعا فى تاريخ البشرية ، فقد عرفته العصور القديمة ولا تزال بعض الشعوب تسير عليه فى عصرنا الحاضر ، عرف تعدد الزوجات قديما عند السكان الاصليين لاستراليا وأمريكا والصين وغيرهم ، وقد عرف ذلك عند قبائل أوربا القديمة كالجرمانيين والصقالبة قبل المسيحية . وقد نشأ في الرومان حتى حظره جوستنيان فى توانينه ولكنه ظل ماشيا من الناحية العملية . وأباحه بعض البابوات لبعض الملوك بعد الاسلام كشرلمان ملك فرنسا كما يأتى بيانه .

٢ ـ منع تعدد الزوجات واباحة الاعارة والتاجير :

وانتشر تعدد الزوجات عند العرب فكان الواحد منهم يجمع بين عشر نسوة حتى جاء الاسلام وقيد هذا الاطلاق وحصرها بأربع نسوة فقط ، حيث ورد فى القرآن العظيم « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » (١) .

واما أوروبا المسيحية فقد منعت تعدد الزوجات الشرعيات ، وقام مقامه السفاح واتخاذ الأخدان ، وجعلت المرأة سلعة تتاجر ببضعها ، وسمحت للرجل فى أن يعير زوجه لذوى الشأن للنجابة والتبريك (٢) .

يقول الفيلسوف هربت سبنسر الانكليزى فى كتابه (علم وصف الاجتماع) أن الزوجة كانت تباع فى انجلترا **خلال القرن الحادى عشر** وأنه حدث أخيرا فى القرن الحادى عشر أن المحاكم الكنيسية سنت قانونا ينص على أن للزوج أن ينقل أو يعير زوجته الى رجل آخر لمدة محدودة (٣) .

٣ ـ الأديان كلها اباحت تعدد الزوجات :

فليس الاسلا مهو الدين الوحيد الذى أباح تعدد الزوجات او انه أول دين اباحه بعد الموسوية والمسيحية ، وانما أباحت الشرائع القديمة تعدد الزوجات فقد كان لابراهيم الخليل عليه السلام زوجتان ، كما أن الديانة اليهودية كانت تبيح التعدد بدون حد ، وأنبياء التوراة كان لهم زوجات كثيرة كيعقوب وداود وسليمان . ولم يأت فى الانجيل نص يدل على التحريم وانما ورد على سبيل الموعظة لأن الله خلق لكل رجل زوجه ، وهذا لا يفيد على أبعد الاحتمالات الا الترغيب بأن يقتصر الرجل فى الاحوال العادية على زوجة واحدة . ولكن اين الدليل على أن زواج الرجل ـ بزوجة ثانية مع بقاء زوجته الاولى فى عصمته يعتبر زنى ويكون العقد باطلا . ليس فى الاناجيل نص على ذلك بل ورد فى رسالة بولص الاولى المرسلة الى دتيو شاوس ما يفيد أن التعدد جائز . وهذا ما كان عليه الأقدمون كما ثبت ذلك (٤) .

٤ ـ ما يؤيد تعدد الزوجات عند الأمم الغابرة :

قال وستريماك العالم الثقة فى تاريخ الزواج : ان تعدد الزوجات باعتراف الكنيسة بقى الى القرن السابع عشر . وكان يتكرر كثيرا فى الحالات التى تحصيها الكنيسة والدولة . ويقول ايضا : ان (ديار ما سدت ملك آرلندا) كان له زوجتان وسريتان ، وتعددت زوجات الميروفنجيين غير مرة فى القرون الوسطى وكان لشارلمان ملك فرنسا الذى كان معاصرا للخليفتين المهدى والرشيد من العباسيين زوجتان وكثير من السرارى .
فكما يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولا بين رجال الدين انفسهم . وكان فيليب اوفاهيس ، وفرَوذريك ، وليام الثانى البروسى يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين .

٥ ـ اباحة تعدد الزوجات عند غير المسلمين :

وفى سنة ١٦٥٠ ميلادية بعد صلح وسنغاليا وبعد ان تبين النقص فى عدد السكان من جراء حروب الثلاثين أصدر مجلس الفرنكيين (نيورمبرج) قرارا يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية الى ايجاب تعدد الزوجات ، ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى (مونستر) صراحة بأن المسيحى ينبغى أن تكون له عدة زوجات ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام الهى مقدس .
وقال جرجى زيدان : فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع اتباعها من التزوج من امرأتين فأكثر ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائزا عندهم، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة اقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها ــ وكان ذلك شائعا فى الدولة الرومانية ــ فلم يعجزهم تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حراما كما هو مشهور .

٦ ـ اباحة التعدد فى افريقيا :

ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بتعدد الزوجات فى افريقيا السوداء فقد وجدت الارسالات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعى ، فأعلنت الكنيسة رسميا السماح للافريقيين النصارى بتعدد الزوجات الى غير حد . والشعوب الغربية المسيحية تتخبط بنفس المشكلة ، وخاصة بعد الحربين العالميتين .

٧ ـ المانيا تطالب بوجوب اباحة التعدد :

فقد حدث أن مؤتمرا للشباب العالمى عقد فى ميونيخ بالمانيا عام ١٩٤٨ وكان من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء فى المانيا عن عدد الرجال فأقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة باباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

وفى عام ١٩٤٩ تقدم أهالى بون عاصمة المانيا بطلب الى السلطة المختصة يطلبون فيه أن ينص فى الدستور الالمانى علــى اباحة تعــدد الزوجات تأكيدا لطلبهم السابق أيام هتلر . علما أن المفكرين الغربييــن الاحرار أثنوا على تعدد الزوجات منهم جرونيوس العالم القانونى المشهور والفيلسوف الالمانى الشهير (شوبنهور) وخاصة غوستاف لوبون فإنه يتحدث فى كتابه حضارة العرب عن تعـــدد الزوجات ومحسناته عنــد المسلمين (٥) .

ولقد اختارت المانيا النصرانية التى تحرم التعدد ، ما اختاره الاسلام وهى لا تدين بالاسلام ، فقادة الفكر فى المانيا وفى غيرها قد خرجوا عــن قانون وحدة الزوجة فى بلادهم .

لقد آن للعالم الحائر المتخبط فى دياجير المادة أن يستفيق من غفلته بعد أن أدت به المدنية الحديثة الى الهلاك والدمار ، وأصبحت الانسانية معذبة يرفض ضميرها فساد الاخلاق وقلق النفس واضطراب المجتمع .

٨ ــ حكمة التشريع فى تعدد الزوجات :

ومن يتأمل فى حكمة التشريع يعلم بأنه ليس اباحة تعدد الزوجات فى الشريعة الاسلامية لارضــاء الشهوات الجامحات كمــا يزعمون ، ولكن هى للضرورات الاجتماعية التى تعرض المجتمع للاخطار . علما بأن الاسلام قد قيد الاطلاق الذى كان فى العصور الغابرة وحصرها فى أربع نســوة فقط ومنع الزوجات فيما زاد على ذلك .

ولقد صدمت تلك الضرورات ــ أخيرا ــ الباحثين من علماء الاجتماع ورأوا بأعينهم ما يستهدف له بعض المجتمعات فى أوروبا من أخطار النساء واباحة الاختلاط وتضييق حدود الزواج ، رأوا رأى العين ، فكتبت احدى الكاتبات الاجتماعيات كلمات مؤثرة ، نشير الى بعضها ، وليرجع اليها من شاء ، فى تاريخ الاستاذ العلامة (محمد عبده) المعروف بالمنشآت . قالت تلك الكاتبة الانجليزية :

(لقد كثرت الشاردات من بناتنا ، وعم البلاء ، وقــل الباحثون عن اسباب ذلك وان كنت امرأة ، فانى أنظر الى هاتيك البنات ، وقلبى يتقطع شفقة عليهن وحزنا لهن ، وماذا عسى يفيدهن حزنى وتوجعــى ، وان شاركنى فيه الناس جميعا لا فائدة الا فى العمل على ما يمنع هذه الحالــة الرجسة ، ولله در العالم (توماس) فإنه رأى الداء ووصف الدواء ، وهو : الاباحة للرجل أن يتزوج أكثر من واحدة بذلك يزول البلاء وتصبح بناتنــا ربات بيوت ، وامهات أولاد شرعيين ، اننا نعانى تحريم زواج اثنتين فقــد القى ببناتنا شوارد ، وقذف بهن الى التماس أعمال الرجال فكثر الاختلاط وتفاقم الشر) .

وهكذا ، يرجع الباحثون الى تعرف الحقائق الاجتماعية ، التى لــم يغفلها المشرع الاسلامى من قبل أربعة عشر قرنا .

٩ ــ وجوب اقامة العدل بين الزوجات :

جاء فى سورة النساء آية (٣) قول الله تعالى : « فانكحوا ما طاب

لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة .. الخ »
وجاء فى آية ١٢٩ « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل » .

أى ولن تستطيعوا العدل بين النساء ولو كنتم حريصين على ذلك فان فى المعاملة أمورا مادية وأخرى غير مادية ، أما المادية فتستطيعون فعلها والعدل فيها كالبيت والنفقة والكسوة والتطبيب الخ .. أما الأمور القلبية كالميل والحب وغير ذلك بما يكون الباعث عليه الوجدان والشعور النفسى فهذا مما لا تملكونه ولهذا خفف الله عنكم ورفع الحرج فيه . كما قال ابن عباس وغيره رضى الله عنهم فى قوله تعالى : (ولو حرصتم) أى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك لأن الميل يقع بلا اختيار فى القلب .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه ، فيعدل ثم يقول : اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك . يعنى القلب (٦) .

ثم نهى الله تعالى فقال : (فلا تميلوا كل الميـــل) قال مجاهـــد : لا تتعمدوا الاساءة بل الزموا التسوية فى القسم والنفقة لأن هذا مما يستطاع وروى قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهيك عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من كانت له امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) (٧) .

هذا ما ورد فى الاحاديث الشريفة وما قاله المفسرون والعلماء . وعلى هذا يكون قول المستشرقة (زيغريد هونكه) ومن كان على شاكلتها لغوا لأن القول المعتمد هو ما قاله رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام ، ومـــا عداه هباء .

١٠ ـــ العوامل الطبيعية :

على أن تعدد الزوجات أو الطلاق كحق للزوج لا غبار عليهما أبدا ، بل لعلهما من الضرورات اللازمة للطبيعة البشرية ، ولكن الخطأ الأكبر يجيىء من سوء الاستعمال . أما القول بمنعهما ففيه مخالفة لصريح القرآن ومخالفة لمصلحة الرجل والمرأة على السواء .

ماذا نفعل برجل تزوج بأمرأة لا تلد ؟ وهو غنى يريد الولد وعنـــده القدرة على كفاية اثنتين من النساء .

ورجل عنده نهم على النساء وعنده امرأة بها مانع أو مرض أو عزوف عن الرجال فهل يرتكب الفاحشة فيضيع بذلك الدين والمال والصحـــــة والشرف أو يتزوج بامرأة اذا التزم العدل فى معاملة الاثنتين .

١١ ـــ العوامل الاجتماعية :

وماذا نعمل فى الأمة عقب الحروب التى تبيد أكثر رجالها فتبقـــى النساء كثيرات مع قلة الرجال ، أمن الخير أن يتمتع بعض النساء بالزوج ويبقى قسم كبير منهن محرومات من عطف الرجل والعائل ، وقد تضطرها الظروف الى ارتكاب الاثم والفواحش .

اذا الخير فى علاج المسألة بعلاج الدين ، فنحافظ على المرأة محافظة تامة ونعتنى بها عناية كاملة فى الحرب والسلم .

١٢ — اخى الشاب العربى :

ان الاسلام يجمع بين المادة والروح ، على ان هذا لا يدركه الا من اطمان قلبه بالايمان ، بل لا يدركه الا الراسخون فى العلم واما تاويله فلا يعلمه الا الله . (فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تأويله الا الله) (٨) .

فمن اين لهذه المراة وأمثالها من المستشرقين او المستشرقات ومن كان على شاكلتهم ان يفهموا القرآن الكريم وروحه او تاويله ، وانى لهم ان يؤولوا القرآن حسب فهمهم ، علما أن فاقد الشىء لا يعطيه .

١٣ — تقديس الأديان واجب :

على أن الغريب فى الأمر أن المسلمين لا يهاجمون غيرهم فى دياناتهم ومعتقداتهم بل يحترمونها على أنه لو تعرض احد منهم لشىء من ذلك لقامت عليه الطامة الكبرى فيعتبرون هذا تحديا لهم وتحقيرا للاديان وتدخلا فى ما لا يعنيه .

أما اذا جاء التعرض من قبلهم كما صدر من المستشرقة (زيغريد هونكه) بتعرضها للقرآن بقولها ان سورة (اذا السماء انفطرت) من نثر محمد ورددت عليها فى مقال سابق وما تعرضت اليه هنا من تفسيرات عقلية لا أصل لها لقيل إنه يجب غض الطرف عنها لأنها مستشرقة ولها ملء الحرية فى التكلم والبحث ولو كان متعلقا فى الاديان .

لقد تحقق عند الكافة من الشرقيين أن جل الغربيين لهم فى كل مصلحة مفسدة وفى كل حسنة سيئات ، وفى كل اخلاص دغل وفى كل صفاء دخل . وللمستزيد أن يرجع الى (كتاب الغارة على الاسلام) وكتاب (استعباد الاسلام وغيرهما) .

هذه ملاحظاتى على كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) والله من وراء القصد .

---

(١) سورة النساء .
(٢) كتاب نظام الاسرة فى الاسلام (مناع قطان المدرس بكلية الشريعة بالرياض) .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) كتاب المراة بين الفقه والقانون .
(٥) كتاب المراة بين الفقه والقانون .
(٦) رواه الامام أحمد فى المسند ص ١٤٤ من الجزء السادس (انظر تفسير القاسمى)
(٧) تفسير القرطبى سورة النساء / ١٢٩ جـ ٥ .
(٨) سورة آل عمران .

نــداء موجه الى جميع الدول والهيئات الاسلامية فى العالم .

لا تزال سلطات الاحتلال الصهيونية تعيث فسـادا فى جميع الارض المحتلة وتعمل جاهدة على تغيير معالم القدس والخليل وغيرهما من الديار المقدسة ، بالحفريات والمستوطنات . وقد بلغ الاستهتار حدا لا يجـوز السكوت عنه او التساهل فيه ، نظرا لما ينطوى عليه من اخطار بعيـدة المدى ، وتحد لمشاعر المسلمين فى أعز مقدساتهم فى الديار الفلسطينيـة المقدسة ، ذلك أن السلطات المحتلة قامت بتقديم مشروع قانون للكنيست (البرلمان الاسرائيلى) يقضى بأن الاماكن الاسلامية المقدسة فى القدس هى بناية المسجد الاقصى ومسجد الصخرة المشرفة فقط ، اما السـاحات والاراضى التى تقع ضمن سور الحرم فليست من المقدسات ، وانه يجوز لتلك السلطات اجراء اية حفريات أو تنظيمات فى تلك الساحات والاراضى ... الخ ، كما أشارت الى ذلك جريدة الدفاع الاردنية تاريخ ٨ ذى الحجة سنة ١٣٩٠ الموافق ٤ شباط سنة ١٩٧١ ، العدد ١٠٧١١ .

وبما انه بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٥ اقدم حاخام جيش الدفاع الاسرائيلى ، بريجادير شلومو غورين على الصلاة مع جماعة مـن تابعيه فى سـاحة المسجد الاقصى المبارك ، وأعلن عن عزمه على اقامة صلوات أخرى فى مكان آخر من تلك الساحة ، وعلى اقامة كنيس فيها ، بزعم ان الساحـة ليست من المسجد الاقصى ، كمـا ذكرته جريدة هـا آرتس الاسرائيليـة بتاريخ ١٩٦٧/٨/١٦ .

وبما أن ذلك العمل اثار مشاعر المسلمين حينئذ وادى الى اصدار فتوى دينية من جميع علماء المسلمين وقضاتهم ومفتيهم فى الضفة الغربية بتاريخ ١٧ جمادى الأولى سنة ١٣٨٧ الموافق ٨/٢٢ سنة ١٩٦٧ ،تضمنت أن المسجد الاقصى المبارك ، الذى هو مسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وموطن معراجه ، هو جميع ما دار عليه السور ، ويشمل عمـارة المسجد الاقصى ومسجد الصخرة ، كما يشمل جميع الساحات والاراضى التى هى داخل السـور ، ونظرا لصحـة تلـك الفتوى وسلامتهـا من الناحيتين الدينية والتاريخية ، فقد ايدها المؤتمر الرابع لمجمع البحـوث الاسلامية فى الازهر الشريف المنعقد فى أواخر سنة ١٩٦٨ ، كما اكـد تاييدها المؤتمر الخامس للمجمع الذى عقد بتاريخ مارس سنة ١٩٧٠ ، وقد حضر المؤتمرين علماء يمثلون العالم الاسلامى .

ويؤيد ذلك كله ما جاء فى كتاب بلدانية فلسطين العربية للأب ا. س. من ان الاقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور ، وأن هذا البناء الموجود فى صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والاروقة وغيرهـا هى مكملة له .

ان لجنة انقاذ القدس تستصرخكم للوقوف فى وجه هذه المحاولـة الاجرامية ، وتعبئة جميع القوى والجهود ، وعلى جميع المستويـات ، لاحباطها .

سليمان النابلسى

رئيس لجنـة انقـاذ القـدس



مجالس العلم الزاهرة في عصر الدولة الاسلامية

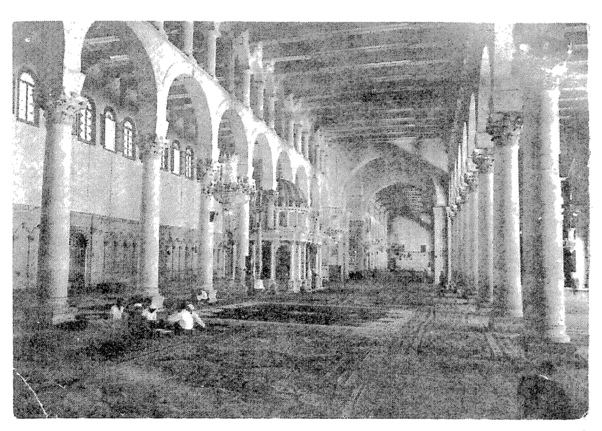
للأستاذ محمد الحسيني عبد العزيز

كان للمجالس العلمية أثرها فى تقدم العلم وتطوره ، اذ كان العلم من أهم مظاهر الحياة العقلية والانسانية لأنه كان سمة العصر وطابعه ، ولن يقل أثره فى حياة الانسان عن الفن أو الفلسفة أو الدين .

واستطاع العلماء بفضل تشجيع الخلفاء وبما اكتسبوا من خبرات ومران أن يصنفوا المعارف العلمية ، أن يستنبطوا القوانين والمشاهدات والتجارب والملاحظات التى تسجل بعناية ودقة ، وسميت طريقة استقراء النظريات والفروض والقوانين بالطريقة العلمية أو التجريبية وهذه دفعت الابحاث العلمية الى الامام وجعلت العلم ينمو ويتقدم ويتفرع ليشمل آفاقا جديدة .

ولما كان العلم يصنع المعرفة عن طريق البحث المنظم والدراسة المنطقية لنتائج البحث العلمى واصبح للمعرفة العلمية تقاليدها وطرائقها التى تقتضى من الباحث أن يحصر جهده فى تجربة معينة يستوحى منها آراءه وآراء من سبقوه ، ويعنى العلم بدراسة ظواهر الحياة والاحياء عن طريق التجربة والاختبار والمشاهدة ، ويعتبر العالم العربى ابن الهيثم مبتكر الطريقة العلمية التى تجمع الحقائق وفق خطة محددة ودراستها منطقيا لتتمشى مع الواقع ولا ريب أن العلماء الذين يتابعون تطور المسائل العلمية يكتب لهم التوفيق فى دراساتهم وأبحاثهم ، وعندما يمارس العلماء أبحاثهم لكشف الظواهر ويستخدمون ملكاتهم العقلية فى جمع المشاهدات وافتراض الفروض للربط بين المشاهدات ليختبروا حقيقة الفروض أو خطأها ولهذا فالعلم لا يتعلمه الانسان من الكتب لكن يصل اليه بالممارسة الفعلية للتجارب والمشاهدات .

ولقد رفع الدين الاسلامى من قدر العلماء ، وشحذ هممهم وحث على طلب العلم ، وكانت المساجد معاهد علمية تعقد بها الندوات هى فى ذلك

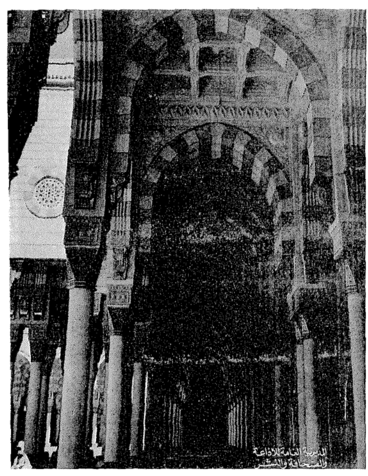


الجامع الاموى من الداخل

مثل قصور الخلفاء والامراء والعلماء وفى داخل المكتبات ، وكان خلفاء بنى العباس يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم مراكز تشع منها الثقافة والمعرفة وقبلة يلتقى فيها العلماء والأدباء وكان المعتضد بالله العباسى قد خصص فى قصره أماكن ومساكن يجلس فى كل واحد منها رئيس كل صناعة علمية وصاحب أى نظرية ويمنحهم العطايا ويغدق عليهم الأموال ، وارتبطت قصور الخلفاء منذ العصر الأموى بالندوات والمجالس العلمية التى بدأت تنمو وتزدهر بوضوح فى عصر عبد الملك ابن مروان والوليد ابنه .

لكنها بلغت الذروة أيام بنى العباس اذ اتخذت هذه القصور والمجالس أهمية خاصة لتناسب تقدم العصر ورخاء الدولة ، ويشيد (هوجز) بعصر المأمون ويعتبره أزهى عصور النهضة فى العالم الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من جهابذة العلماء واختار رجال دولته من صفوة العلماء وجهابذتهم هذا الى جانب الأساتذة والمترجمين والمفكرين الذين زخر بهم بلاط المأمون ، ولقد أطنب المؤرخ سيد أمير على فى وصف بلاط المأمون فقال : (ان بلاطه كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والاطباء والفلاسفة الذين استدعاهم الخليفة من كل صوب وشملهم برعايته على اختلاف جنسياتهم) .

ولما ضعفت الخلافة العباسية وانتقلت المراكز العلمية الى الولايات والامصار الاسلامية فى مصر والشام حيث استقلت هذه الدويلات عن الدولة الأم عقدت مجلس العلم فى قصور حكام هذه الدويلات التى لم تعد تقتصر على المسائل



ايوان مسجد الرسول بالمدينة

الدينية بل تعدتها الى علوم اللغـة والمنطق والطب والفلك فقد شملت الدروس التـى ألقيت بالمسـجد الطولونى بالقطائـع دروس فـى التفسير والحديث والفقه والطـب والفلك وغيرها .

وهكذا نشأت المدارس التى كانت اول الأمر تقوم بتعليم العلوم الدينية ثم عرفت العلوم الدنيوية « كما كانت تعرف آنذاك » وهى الطب والفلك والكيمياء والصيدلة وقد أمر الخليفة المستنصر أن يعين طبيب حاذق بمدرسة المستنصرية يتعلم على يديه بعض الطلبـة وكان بالمدرسـة المستنصرية ايوان بوسطه قاعـة للمحاضرات وبه مساكن الطلبـة والاساتذة وهذه أشبـه بالمدينـة الجامعية فى العصر الحديث وعلـى هذا النحو بـدأ ظهور المـدارس النظامية وفى سوريا أنشأ نور الدين زنكي المدرسة النوريـة ونشأت فى بغداد وبعض المدن العراقية مدارس على الاساليب الحديثة أما مدارس الطب فقد أقيمت فى المستشفيـات ليمكن التطبيق العمـلى والنظرى للنظريات العلمية فى مكان واحـد حيث يتجمع الدارسون ويجـرون التجارب ويشاهدون عمليا الامراض والعمليات الجراحية التى تقع وتحدث كل يوم بين أيديهم .

وجاءت الخطوة التالية بانشـاء المكتبات العامة التى كانت تعـد لاستقبال أفراد الشـعب وكانـت المكتبات موضع اهتمام المسلمـين لادراكهم فوائدها فخصصوا لهـا الغرف المتعددة والاروقة الفسيحـة وأقاموا بها الرفوف لوضع الكتـب بينما اتخذوا الاروقة مكانا للمطالعة وبعض الغرف الاخرى لنسخ الكتب والبعض للدراسة والبحث .

وروى المؤرخ المقريزى أن دار الحكمة فى القاهرة لم تفتح أبوابها الا بعد أن تم فرشها وعلقت على جدرانها وجميع أبوابها الستائر وعين لها الخدم الذين



المدرسة المستنصرية ببغداد منظر عام من الداخل يبين المدخل الاصلي للمدرسة بعد صيانتها .

اختصوا بخدمة القراء وتلبية طلباتهم وكانت تضم نحو ثمانية عشر الف مجلد وهى فى متناول كل قارىء ويستطيع أى انسان أن يحصل بنفسه على الكتاب الذى يريد ، واذا وكان للمكتبة فهارس منظمة يشرف على هذه المكتبات علماء ممتازون مثل سهل بن هارون أمين مكتبة بيت الحكمة فى بغداد وعلى بن محمد الشابشتى أمين دار الحكمة بالقاهرة.

وكان بالمكتبات العامة والخاصة المترجمون والنساخ وقد عين فى دار الحكمة بالقاهرة عدد من النساخ ليزودوا خزانة الكتب بما عساه الا يكون موجودا فيها ، كما كان بمكتبة بنى عامر بطرابلس بالشام نساخ لا ينقطعون عن العمل ليل نهار وكانت منزلة العلماء ومكانتهم رفيعة وفى رسالة أحد الخلفاء قوله : « اعلم أن مواقع العلماء من تلك مواقع السرج المتالقة والمصابيح المتعلقة ، وعلى قدر تعاهدك تبذل الضياء ، وتجلو بنورها صور الأشياء » .

وكان العلماء مراتب يعين كبيرهم صغيرهم يأخذ بيده ويعاونه حتى يغدو من العلماء وهناك الشيوخ « الاساتذة الجامعيون » وهناك المدرسون والمعيدون ومهمتهم اعادة الدرس بعد انتهاء الشيخ من القائه فالمعيد يجلس مع الطلاب لسماع المحاضرة ثم يقوم بشرح النقط الصعبة على محدودى الذكاء ، وكان المعيدون يصحبون الاساتذة ويعملون معهم ، وكان للعلماء زى خاص يميزهم عن غيرهم

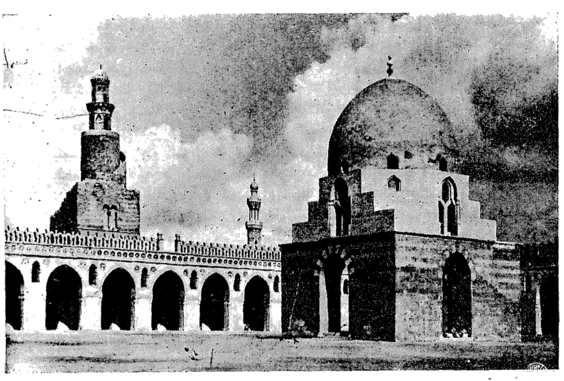
ويروى ليد بول عن الأزهر قوله : انه كان يجتمع فيه الطلاب من مختلف البلاد الاسلامية من ساحل الذهب حتى الملايو وحدد رواق خاص لكل قطر من الاقطار ويتلقى الطلاب دروسهم على شيوخ أجلاء ورعين وهكذا كان الأزهر نموذجا لمجانية

التعليم للطلبة على اختلاف جنسياتهم ولغاتهم من غير تمييز لعنصر أو طبقة من الطلاب .

وقد تعددت المراكز العلمية فـي المدينة والكوفة والبصرة والقاهـرة واليمن وأصبح لكل مدرسة طابعهـا المميز وكان الطلبة يسعون الـى حلقات الدرس لينتفعوا بعلم الاساتذة كما كانوا يرحلون فى حماس بالـغ عبرآسيا وافريقيا وأوروبا ثم يعودون الى بلادهم ويعكفون على التـدوين ويؤلفون كتبا أشبه بدوائر المعارف وهذه الكتب كانت مصادر العلـوم الحديثة .

ومن أشهر العلما الرحالة ياقوت الحموى وابن جبيـر وابن بطوطة والمقدسى وغيرهم وهؤلاء كانـــوا رواد البحث والتأليف فى العصـور الاسلامية .

الجامع الازهر فى القــاهرة



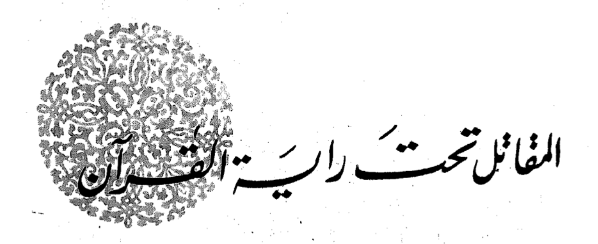
صحن جامع ابن طولون وبه قبة ومنارة المنصور

وهكـذا سـطعت الحضـارة الاسلامية فى هذه العصور الزاهرة لتشجيع الخلفاء للعلماء وكيف هيأوا الاسباب لنشر العلم والمعرفة فـى أرجاء الدولة الاسلامية مما جعل هذه الحقبة خاصـة القـرن الخامس الهجرى أزهى عصور البحث العلمى عبر العصور الاسلامية .



المعارك الفكرية اللافحة التي نشبت بين الرافعي وغيره من الأدباء ، كانت وما تزال على المستوى الفكري من أخصب المعارك التي شهدها هذا القرن ، وان كان قد تخللها كثير مما لا يتلاءم مع روح البحث العلمي المحايد الذي يجب أن يكون دائما على مستوى الحوار الثري والعف والرشيد .. ولقد يخيل الى أن طبيعة « الموضوع » الذي دار من حوله هذا الحوار كانت السبب في جنوح كل الأطراف المتصارعة الى هذا الشطط أو قل هذا الاسراف .. واعتقد اننا لسنا في حاجة الى تأكيد ان الحوار ينفعل الى درجة التوتر حين يكون التراث أو الدين أو اللغة أو الموقف الحضاري للأمة هو محور هذا الحوار .. وهذا هو ما حدث بالفعل — حتى لقد خاض الرافعي المعركة « تحت راية القرآن » — اسم واحد من كتبه — لأنه كان يستشعر أن الهجوم على الأدب العربي أو اللغة العربية هجوم على خصائص الوجود العربي المسلم في الصميم ، وليس مجرد ثورة عارمة تريد أن تضع الأدب واللغة في مهب الرياحات النقدية المعاصرة حتى يأخذا وجههما المعاصر والحضوري ، ويكتسبا من خلال هذا اللقاء حصانة أقوى ضد عوامل التفتت أو التخلف أو الجمود !!

لقد كان الرافعي رجلا يقاتل وهو يكتب .. حتى حين يتصدى للغابرين في موقفهم من قضية الاعجاز القرآني تراه ثائرا ومقاتلا بسلاحه المألوف الذي هو « العاطفة » وهذا وحده يؤكد أن موقفه من المجددين وعلى راسهم طه حسين لم يكن تعصبا منه ضد فرد معين أو جماعة معينة أو مرحلة بذاتها .. بقدر ما هو تعصب لفكرة .. أو عقيدة .. أو قضية آمن بها ايمانه بالحياة !!! وحتى لا نرسل الكلام عاريا من الدليل فسنسوق هنا مثالين من كتابه (اعجاز القرآن) لنرى الى اي حد كان الرافعي « عاطفيا »



للأستاذ : محمد أحمد العزب

فى حواره الفكرى ، وغير متعصب ضد « واحد » بعينه من الناس ، وانما هو غاضب لدينه ولغته وقرآنه ..

فى صفحة ٤٧ وفى معرض التعليل لنزول القرآن بلغة قريش يقول الرافعى : « ان طائفة من الناس يذهبون الى أن القرآن لو هو قد نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير القرشية لكان ذلك وجها من اعجازه تلتمس به الحجة ويستبين الظفر ، ولخلى عنه العرب فترة وعجزا ، وهو زعم لا يقول به الا أحد رجلين : من لا يدرى كيف يقول .. أو من يقول ولا يبالى أن يدرى أنك مطلع منه على جهل وسفه » !!

حقيقى .. أن الرافعى بعد هذا التوتر العاطفى فى رده على زعم من زعم أو قول من قال ، دافع دفاعا رائعا عن نزول القرآن الكريم بلغة قريش .. ولكن ذلك لا يعفيه ـــ وهو الكاتب المسلم الملتزم ـــ من لوم يوجه اليه على ما أسلف من تجهيل وتسفيه ولا أدرية لرأى المعارضة مهما كان هذا الرأى باطلا ومرفوضا .. وهو بالتأكيد باطل ومرفوض !!

وفى فصل « تأثير القرآن فى اللغة » من كتاب الاعجاز أيضا يعرض الرافعى لآيات من القرآن الكريم كوثيقة من أروع ما يمكن أن نواجه به مطاعن الحاقدين على هذا الدين السوى ، الا أنه كشأنه دائما يقف من الآيات موقفا يحدده اطار من التوتر والانبهار العاطفى الذى يلون كتاباته أبدا .. ولقد كان فى استطاعته أن يعرض هذا الموقف فى اطار من الحوار العقلى العميق الذى يتناول القضايا تناولا مقارنا ذكيا يهدف الى مقابلة كل شىء بكل شىء ، ثم ينتهى الى « حقيقة علمية » تؤكد أن مشارق الضوء فى تراثنا أغنى من مشارق الضوء فى كل التراثات .. الا أنه لم يفعل بل لجأ الى التحديق العاطفى المبهور فى النص .. ونسى أو كاد أن تضيته

الاولى هى ان يقتنع بالدليل لا بالسوط .. وان يكتب بالقلم لا بالخنجر !!!
لقد كان الرافعى كما اسلفت قضية عاطفية صادقة ، وقد نضح ذلك على اسلوبه فى معالجة الأشياء ..

وكان رجلا يغار على شرقه العربى المسلم ، ويرى فى مجرد ارتباط رجل شرقى بامرأة أوربية ــ مهما كان هذا الارتباط على مستوى الفردية وليس على مستوى الظاهرة ــ شيئا يدمر مملكة العرف ، ويهز قواعد الأخلاق !!

فى فصل « الربيطة » من كتابه الرائع « السحاب الاحمر » يشهر الرافعى الغيور قلمه المقتدر سلاحا على واحد ممن ارتبط بأوربية على هذا النسق فيصفه مثلا بهذه الكلمات : « وكان من هؤلاء الفتيان الذين اذا تعلموا فى اوربا نفوا جهلهم بالعلم ، ثم نفوا علمهم بجهل آخر ، ثم جاءونا كحرفى النفى : ما .. ولا..فليس منهم الا التكذيب والانكار والشك .. وتراهم أظرف واجمل وأزهى من فراشة الربيع ، لا يريدون الحياة الا أزهارا ، ولا يطيقونها الا ربيعا ، وعلى أزهارهم وربيعهم فليس لنا منهم الا نقط من الالوان ، واصوات من الطنين ، واجسام ليس فيها رجالها » !!

هكذا يصور الرافعى واحدا من هؤلاء .. فاذا سلمنا بكل مضمون ما قال فنحن لا نستطيع من خلال منظور اسلامى قاصد منضبط ان نسلم باطار ما قال .. ولو أنه خلص هذا الفصل الرائع بحق « الربيطة » مما فيه من عرامة وتجهيل للآخرين .. لتبقى لنا منه بعد ذلك واحد من أروع ما كتب فى هذا الصدد .. بعيدا عن كل اسراف فى الحكم أو مغالاة فى التقدير .. فالرافعى لا يقف من المسألة موقفا دائريا يغلق الحديث فيها حول نقطة واحدة لا يتعداها الى غيرها كما يفعل الكثيرون .. ولكنه يتنقل بفكره الطائر .. وحساسيته المرهفة .. فى كل زاوية من زواياها .. قادرا فى كل سطر من سطورها على طرح الاسئلة وعلى بذل الاجابات

ان غيرة الرافعى على شرقه .. وعروبته .. واسلامه .. مرتبطة فى ذهنه بمواريث كثيرة .. بالخوف من تتارية اخرى تولد على أرض المنطقة .. يمهد لها فكر منحل .. وعرى مفكوكة .. وعزم شليل !!! وبالخوف من هولاكو آخر يدمر فى زحفه وجه حضارة الشرق !!! وبالخوف من شعوبية من لون جديد تسدل بظلام قلبها الواغر آلاف الأقنعة السوداء على روح تاريخنا كله .. فى القديم والحديث !!!

ولندع هذا التجريد الذى ربما تحيفنا فيه الرافعى أكثر مما انصفناه .. الى نوع من التحديد المسئول فيه للرافعى منطلقات تحدد مساره الفكرى والعاطفى جميعا فى تصديه للدفاع عن الدين واللغة ..

اول هذه المنطلقات : ابراز الحقائق الموضوعية الكبيرة التى ينطوى عليها الاسلام كدين شمولى ابرازا مجردا وفاهما وعميقا ، وربما استبان ذلك اكثر فأكثر فى كتابه « اعجاز القرآن » فهو فى هذا الكتاب يحرك القضايا تحريكا موضوعيا عميقا ، وان لونته فى بعض اللحظات أو كثير منها انفعالات عاطفية صاخبة كم كان يكون رائعا لو انه تحاماها عبر كل السطور !!

وثانى هذه المنطلقات : الدفاع البطولى عن الاسلام ضد كل المفتريات التى تستضرى دائما من حوله ، ويستبين ذلك أوضح فأوضح فى كتابيه

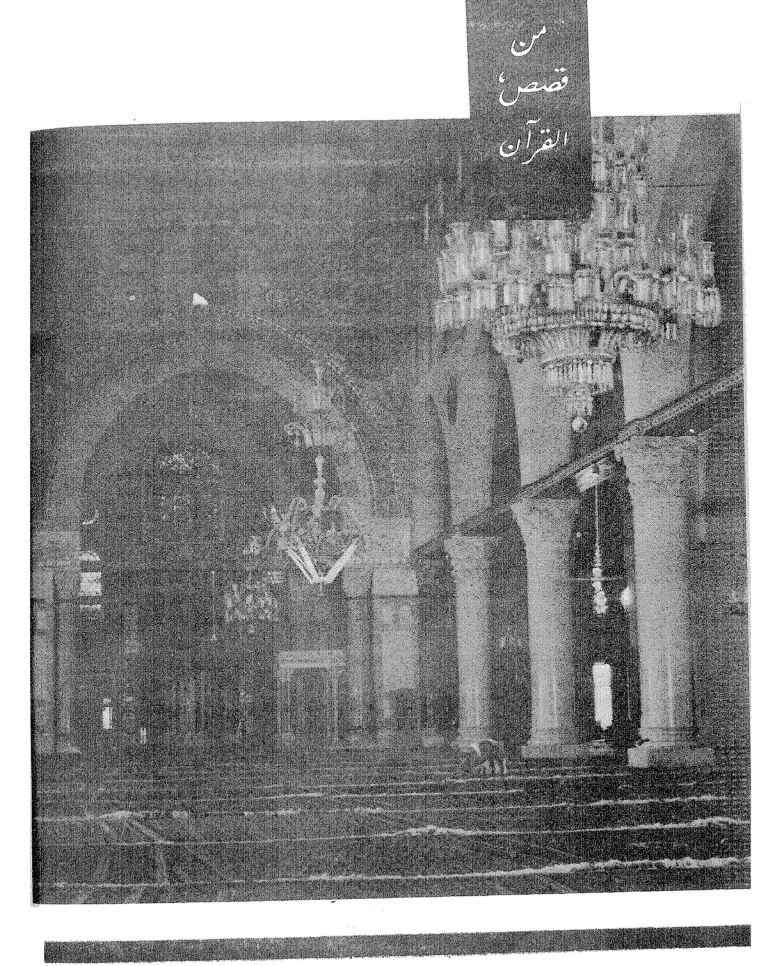
« تحت راية القرآن » و « وحى القلم » فلقد خاض الرجل معركة فكرية وعقائدية معا .. واجه فيها كل انماط القوى وكل اشكال الصراعات ، ولم يكن منازلوه ناسا من الناس الذين يمكن أن يظفر بهم فى جولة أو جولات .. وانما كانوا طلائع فكرية مثقفة ومدربة على الحوار .. سلحتها الثقافة الهائلة بكل الوان القدرة على مواصلة الجدل .. مما يصعسب معسه أن يتصدى لدفع تيارهم جيل بأكمله لم تتح له المكونات الثقافية التى اتيحت لهم .. فضلا عن واحد فقط من الناس .. ولكن الرافعى والحق يقال صمد فى معركته حتى النهاية وهو وان يكن قد كبا فى بعض جولاته الا انسه انتصر كذلك فى كثير منها ، وحسبك من رجل أن يجابه طوفانا ويظل صامدا شامخا لا يحنى له رأسا !!

وثالث هذه المنطلقات : التسلق الى آفاق النضال عن الدين واللغة من خلال التأمل الكونى ، والتصوف العاكف فى رحاب الطبيعة ومجاليهسا الفساح .. ويتضح ذلك اشمل فأشمل فى كل كتبه الأخرى اذا استثنينا منها ما وقفه على فلسفة الجمال والحب « كرسائل الاحزان » و « أوراق الورد » .. حتى هذه أيضا لم تكن تخلو من الحوار الهادف الى تجليسة غوامض الاسرار فى الكون ، وسيطرة القوى الخالقة على نمط الاعجساز فى تدافع سيرها المنتظم العجلان فى آن !!

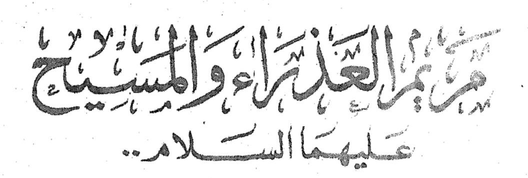
هذا التقسيم .. لا يعنى أن كل طائفة من الكتب تنهض بمضمون محدد يشكل فى النهاية منطلقا معينا لا يتعداه الى غيره من المضامين .. فقد تتشابك المضامين وتختلط .. ربما اكثر فى كتبه التى لا تقوم على منهج مسبق .. فهذه فى مجموعها تضم مقالات متعددة ، ان دار اكثرها حسول محور واحد فلا يلبث باقيها أن يدور حول محاور مختلفة .. نستطيع أن نرى ذلك مثلا فى كتابه الرائع « وحى القلم » ومثله فى كتابه « المساكين » الا أن ذلك لا ينفى أن كتبا بكاملها تنهض على محور واحد تدور حوله ولا تخرج عليه .. ككتابه الفذ « اعجاز القرآن » فلقد محضه الرافعي من بدئه لختامه .. لفكرة الاعجاز لا يتعداها الى غيرها ابدا !!

وبعد ..

فان أقلاما ضارية ومتسرعة قد حاولت أن تهدم فى الرافعى قلعة من قلاعنا الشاهقة .. ولكنها لم تفلح فى ذلك على ما يخيل الى .. وان كانت قد افلحت في شىء قريب منه .. هو أنها استطاعت أن تعطى للجماهير القارئة عن الرافعى انطباعا صرف عنه كتلا هائلة من الجماهير تحت زعم انه كاتب « متحفى » يعيش فى عصر غير هذا العصر .. أو انه كاتب ضحل المفاهيم لا شىء عنده يقوله وانما هو يلجأ الى تعمية الاشياء حتى يقال انه فيلسوف .. الى آخر هذه المطاعن الراعنة التى يجب أن نواجهها علسى مستوى التحرر الكامل ، فنقول فى الرافعى ما له .. وما عليه .. دون أن يجذبنا عدم الفهم الى مناطق الرجم بالحجارة لواحد من اخصب كتابنا الغيورين فى هذه الحقبة .. وآمل أن اكون قد اضأت بصيصا من هذا الذي أرجوه عبر هذه المحاولة في هذه السطور !!



من قصص القرآن



للدكتور : مصطفى عبد الواحد

« إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » .

سورة آل عمران سورة مدنية نزلت بعد سورة الأنفال وفيها مائتا آية، وسميت بآل عمران لأنه ورد فيها قصة مريم بنت عمران وابنها عيسى عليه السلام ..

. . . .

حنة بنت فاقود : انظر يا عمران الى هذا الطائر الذى يزق فراخه .. يا له من حنان يحرك القلوب !

عمران : لماذا تذكرين هذا يا حنة .. أولست راضية بحكم الله ؟ إنه يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور .. وهو كذلك يجعل من يشاء عقيما ..

حنة : لست ساخطة على حكم الله يا عمران .. ولكن رحمته وسعت كل شيء .. ولا حرج على فضله ، فماذا لو تمنيت أن يمن علىّ بوليد ..؟!

. . . .

عمـــــران : انت وذاك يا حنة .. ولا أملك الا ان ادعـــو الله أن يحقق رجاءك ، وهو سبحانه يخلق ما يشاء ويختار .
(واستجاب الله لدعاء حنة وزوجها عمران ، وحملت حنة بعد أن كانت عقيما) .

حنة (فى فرح) : إنك لمبارك يا عمران .. ما أسرع مـــا استجاب الله لدعائك ..

عمـــــران : فلتقرى عينــا يا حنة .. وليكن لك فى هـــذا المولود المنتظر خير وبركة .

حنـــــــة : إننى لا اجد ما اشكر به ربى واستزيد من نعمته إلا أن اجعل ما فى بطنى نذرا لله .. حبيسـا للعبادة والخدمة فى بيت المقدس ..

عمـــــران : ذلك بعض ما يجب علينا من الشكر لنعمة الله ..
(وجاء حنة المخاض ، ووضعت مريم عليها السلام) .

حنـــــــة : « رب .. إنى وضعتها انثى » .

عمـــــران : ما هذا يا حنة ؟ أوليس الله أعلم بما وضعت ؟

حنـــــــة : بلى يا عمـــران .. ولكنى نذرت مـــا فى بطنى محررا لخدمة بيت المقدس وهـــذه أنثى .. « وليس الذكـــر كالأنثى وانى سميتها مريم (رباه) .. وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم » ..

عمـــــران : ما أرى الا قد استجيب لك يا حنة .. فما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا ، أما مولودتك هذه فقد ولدت هادئة مبتسمة ، وتلك بشارة القبول .

حنـــــــة : إنها نبتة مباركة ، نذرتها لله قبل ان تولد ، ولا بد أن أغرسها فى مهد العبادة ، وأجعل كفالتها بيد الرهبان خدام بيت المقدس .
« فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نبـاتا حسنا وكفلها زكريا » .

قـال زكريـا : أيها العباد القانتون .. تلك مريم بنت عمران جاءت بها أمها بعد أن وضعتها الى المسجد ، تريد أن يقوم على كفالتها عباد الله ..

الرهبـــان : أهلا بها فرعا مباركا من شجرة مباركة .. ابنة شيخنا وإمامنا عمران ..

زكـــريا : أتأذنون لى بكفالتها أيها الرهبان ؟

الرهبـــان : كلنا نريد ذلك الشرف يا نبى الله ..

قـال زكريـا : فلنقترع على هذا الأمر ، فأينما خرجت قرعته رضينـا به كفيلا لمريم ..

الرهبـــــان : نعم .. نعم .. ذلك فصل الخطاب ..
قــال زكريــا : ليلق كل منا قلمه فى النهر .. فأينا جرى قلمــه على خلاف جرية الماء فهو الغالب ..
« وما كنت لديهم إذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون » .
(فكان زكريا عليه السلام هو الغالب لهم ، فكفلها اذ كان احق بذلك شرعا وقدرا .. وكان ذلك تشريفا لمريم وتكريما ..)
قــال زكريــا : ليس لك من عمل يا مريم إلا العبادة .. وليس لك من دار الا المسجد .. وقد جعلت لك فيه مكانا لا يدخله سواك تعبدين فيه ربك .. وتقومين بما يجب عليك من سدانة بيته .

• • • • • • • •

راهـــــب : أى بركة تلك التى أصابت تلك الفتاة .. لقد اصبحت مريم ابنة عمران مثلا فى العبادة لبنى اسرائيل ..
قــال زكريــا : إنى لأعجب من أحوالك الكريمة يا مريم .. كلما دخلت عليك المحــراب وجدت عندك رزقا غريبــا .. فاكهة الصيف فى الشتاء وفاكهــة الشتاء فى الصيف فــأنى لك هذا ؟!
مريـــــم : « هو من عنـــد الله ، ان اللـــه يرزق من يشاء بغير حساب » .
قــال زكريــا : ما أوسع رحمتــك عــلى عبادك يا رب .. وما اسبغ نعمتك على من يخلصون فى عبادتك ، فلا حرج على إن طمعت فى فضلك .. يا من يرزق مريم الثمر فى غير أوانه هب لى ولدا ، وان كان فى غير أوانه ..
« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء » .

• • • • • • • •

مريـــــم : رباه .. لقد اخلصت فى عبــادتك .. فهل اطمع فى قبولك .. واستشرفت الى رضاك فهل انال رحمتــك يوم القاك .. لو أعلم عملا يقربنى اليك اكثر مما اعلم لسارعت إليه .
« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهــرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربــك واسجدى واركعى مع الراكعين » .
مريـــــم : ما ابهى طاعتك يا مولاى .. وما أشرف السجود لك .. وما أكرم الوقوف بين يديك .. ان لطاعتك لذة أحلى من الدنيا وما فيها ..

• • • • • • • •

« اذ قالت الملائكة يـــا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكـــلم الناس فى المهـــد وكهـــلا ومن الصالحين » .

مريــــــــم : رباه .. ماذا أسمع « انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » ماذا يقول عنى قومى ..؟

« قال كذلك الله يخلق ما يشـــاء اذا قضى أمرا فانمـــا يقول له كن فيكون » .

« واذكـــر فى الكتاب مريم إذ انتبـــذت من أهلها مكانا شرقيا . فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا . قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا . قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا » .

مريــــــــم : ماذا يقـــول عنى بنو اسرائيـــل حين يعلمون اننى قد حملت .. هل يصدقون بآية الله ..؟ أم تنطلق منهم السنة السوء .. رباه فاجعل لى من هذا الهم مخرجا .

. . . .

يوسف النجار : ماذا بك يا مريم ؟..

مريــــــــم : لا شىء يابن الخال ، فماذا ترى بى ؟

يوســـــف : هل يكون زرع من غير بذر ..؟

مريــــــــم : نعم يا يوسف .. والا فمن خلق الزرع الأول ؟

يوسف النجار : ما أعجب أمرك .. هل يكون ولد من غير ذكر ؟

مريــــــــم : نعم يا يوسف .. ان الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى

يوســـــف : فأخبرنى خبرك يا مريم ..

مريــــــــم : ان الله بشرنى بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم النـــاس فى المهد وكهلا ومن الصالحين ..

يوســـــف : ما أعظم المعجـــزة .. ولكنى أخاف عليـــك السنة بنى اسرائيل وأنت القانتة الطاهرة .

مريــــــــم : حسبى علم الله .. وانه لقادر أن يبرئنى ويظهر طهارتى من كل دنس ..

يوســـــف : فلتكن إرادة الله ..

. . . .

« فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » .

مريــــــــم : إلهى .. هكذا شاءت إرادتك أن تبتلينى .. وأن تجعل منى آية للعالمين .. ولكنى حملت من الهم ما تنوء بـــه الجبال .. فماذا يقول عنى بنو اسرائيل حين أدخـــل

عليهم بغلام احمله على يدى .. وانا من بيت النبـوة والديانة ..

« فناداها من تحتها الا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا . وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا . فكلى واشربى وقرى عينا فاما ترين من البشر احدا فقولى : إنى نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم إنسيا » .

ومضت أربعون يوما .. ورجعت مريم الى قومها بعد أن افتقدوها .. وهى تحمل ولدها ..

الرهبــــان : ما هذا يا مريم .. من اين لك هذا الغلام ؟..

صــــوت : « لقد جئت شيئا فريا » .

صــــوت : « يا أخت هــارون ما كان ابوك أمرأ سوء وما كانت امك بغيا » .

« فاشارت اليه .. » .

الرهبــــان : « كيف نكلم من كان فى المهد صبيا » ..

تــــلاوة : « قال انى عبد الله آتانى الكتــاب وجعلنى نبيــا . وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصــلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا » .

. . . .

راهــــب : ما اعجب تلك الآية التى ظهرت فى مريم وابنها عيسى .. لقد تكلم فى المهد وبرأها من كل فرية ..

راهب آخــر : أو ما علمت برسل ملك الفرس ؟.. لقــد ظهر نجم عظيم فى الســماء ، فاشــفق ملك الفرس من ظهوره وسأل كهنته عنه فقالوا هذا لمولد عظيم في بيت المقدس .. فبعث رسله الى الشام .. حتى قدموا بيت المقدس بهداياهم الى مريم ..

الـــراهب : لقد علمت بهذا الوفد .. وعلمت أن ملك الفرس بعث مع هذا الوفد من يقتل عيسى بعد أن يخرج رسل الملك الذين يحملون الهدايا اليه ..

(وخرجت مريم هاربة بابنها عيسى ، فذهبت به الى مصر وأقامت به حتى بلغ اثنتى عشرة سنة .. ثم امر الله عيسى وامه أن يخرجــا من مصر ويرجع الى بيت المقدس ، فأقام بها حتى علمه الله التوراة واوحى اليه الانجيل ، واظهر على يديه الآيات ..)

« واذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس » .

. . . .

(وبينما كان عيسى عليه السلام يتعبد فى راس جبــل إذ جاءه ابليس .)

ابليـــس : يا عيسى .. أنت الذى تزعم أن كل شىء بقضاء وقدر ؟
قـال عيسى : نعم .. يا عدو الله ..
ابليـــس : فالق بنفسك من هذا الجبل وقل قدر عليّ ..
قـال عيسى : يا لعين ، ان الله هو الذى يختبر العباد وليس العباد هم الذين يختبرون ربهم ..
ابليـــس : يا عيسى .. أنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تكلمت فى المهد صبيا .. ولم يتكلم فيه أحد من قبلك !
قـال عيسى : بل الربوبية للاله الذى انطقنى ثم يميتنى ثم يحيينى .
ابليـــس : فأنت الذى بلغ من عظم ربوبيتك انك تحيى الموتى .
قـال عيسى : بل الربوبية لله الذى يحيي ويميت من أحييت ثم يحييه .
ابليـــس : لا يا عيسى .. إنك لإله فى السماء وإله فى الأرض ..
قـال عيسى : أمض عنى يا لعين . اللهم انصرنى عليه ..
(وجاء جبريل فصك ابليس بجناحه صكة خسفت به الأرض .. فخرج وهو يقول :)
ابليـــس : ما لقيت من أحد مثلما لقيت من عيسى ابن مريم .. انه لعبد معصوم ليس لى عليه من سبيل .. وساضل به بشرا كثيرا .. وأبث فيهم أهواء مختلفة .. وأجعلهم شيعا يجعلونه وأمه إلهين من دون الله ..

. . . .

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل . ورسولا الى بنى اسرائيل » .
قـال عيسى : يا بنى اسرائيل .. إنى رسول الله إليكم .. لاقيم لكم التوراة ولأجدد فيكم التوحيد والايمان ..
اصـــوات : رسول جديد ..؟ ما لنا وله..ان فى ايدينا توراة موسى
صـــوت : اتستطيع يا عيسى أن تخبرنى بما خبأت فى بيتى ؟..
(ضحك واصوات استهزاء ...)
قـال عيسى : لا تعجبوا ولا تهزأوا يا بنى اسرائيل ، فان الله قد ايدني بروح القدس .
تـــلاوة : « وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين » .
(ومضى عيسى فى دعوته لبنى اسرائيل وآيات الله تؤيده بالمعجزات ، وكان أعظم معجزاته احياء الموتى باذن الله .. وكان أول ما أحيا من الموتى انه مر ذات يوم على امراة تبكى عند قبر :)
قـال عيسى : مالك ايتها المراة ؟
المـــراة : ماتت ابنتى ، وليس لى ولد غيرها ، ولقد عاهدت ربى أن لا أبرح من موضعى هذا حتى أذوق ما ذاقت من الموت أو يحييها الله فانظر اليها ..
قـال عيسى : فان نظرت اليها .. اترجعين وتتركين هذا المكان ؟
المـــراة : نعم .. فكيف لى بذلك ..؟

قــال عيســى : صبرا .. سترين الآن .. قومى ايتهــا الفتــاة باذن الرحمن فاخرجي ..
(وخرجت الفتاة من القبر ، ثم اقبلت على امها فقالت :)
ــ يا أماه .. ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين
.. يا أماه اصبرى واحتسبى فلا حاجة لى فى الدنيا ..
وانت يا روح الله وكلمته سل ربى أن يردنى الى الآخرة
وأن تهون على كرب الموت .

المــراة لعيسى : يا لك من مبارك ايها الرجــل .. ما كنت ادرى انك عيسى بن مريم .. اشهد انك رسول الله ..

* * * * * *

(وبلغت اليهود تلك المعجزات فكانوا يزدادون عليــه غضــبا .. وكان الكافرون والمنافقون يزدادون شــكا وكفرانا .. فوشـوا به الى الحاكم الرومانى بيلاطس .)
« ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » ..

يقــول عيسى : يا معشر الحواريين .. احضرونى الليلة فان لى اليكم حاجة .. هــا قد فرغتم من طعامكم فدعــونى أغسل ايديكم واوضئكم بيدى ..

الحـــــواريون : معاذ الله يا روح الله وكلمته ..

يقــول عيسى : من رد علىّ شيئا الليــلة مما اصــنع فليس منى ولا أنا منه ..

الحـــــواريون : ماذا أردت بذلك الذى صنعت بنا ..؟

قــال عيســى : أما ما صنعت بكم الليلة فليكن لكم بى اسوة ، فلا يتعظم بعضكم على بعض .. وليبذل بعضكم لبعض نفســه كما بذلت نفسى لكم ..

الحـــــواريون : سمعا وطاعة يا نبى الله ..

قــال عيســى : ثم أن لى اليكم حاجة استعينكم عليها .. تدعون الله لى وتجتهدون فى الدعاء أن يؤخر اجلى ..
وقام الحواريون يدعون فأخذهم النــوم فلم يستطيعوا الدعاء وكانما حيل بينهم وبينه ..

قــال عيســى : سوف يذهب بالراعى وتتفرق الغنم ــ ايها الحواريون ، الحق اقول لكم .. ليكفرن بى احدكم قبل أن يصــيح الديك ثلاث مرات .. وليبيعنى احــدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمنى ..

الحـــــواريون : ويل لنا ان فعلنا ذلك ..
« وإذ قال الله يــا عيسى إنى متوفيك ورافعــك الىّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فــوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الىّ مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

* * * * * *



الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي (١)

نتناول في هذا العدد بحث وجه ثالث من وجوه الحاجة الى الموسوعة الفقهية على الصعيد الاسلامي ،وهو كونها مرحلة تمهيدية للاجتهاد والتشريع المعاصر ..

***

ويخطىء من يظن أن الموسوعة نفسها تصلح تشريعا يسد حاجة العصر ، فحاجات العصور متجددة ولا بد لسدها من نظم اجتماعية واقتصادية وسياسية وتشريعية متطورةمع الزمن ،مرنة مع الحاجات متغيرة بطبيعة الحال من بلد الى بلد ومن زمن الى زمن ، ضمن اطار القواعد العامة والمقاصد الاساسية للشريعة الاسلامية ..

والفقه الاسلامى ـ الذى تعنى الموسوعة بجمعه وتنسيقه وحسن عرضه بمختلف مذاهبه ـ جاء نتيجة اجتهاد الفقهاء على مر العصور سدا لحاجات بيئاتهم وازمانهم التى تختلف بطبيعة الحال عن بيئتنا اليوم، لذلك يكون من الجمود ان نعتبر اجتهادات الفقهاء الاقدمين اجتهادا ملزما لنا بكل جزئياته وفرعياته نقف عنده ولا نتعداه ، دون تمييز بين ما هو من المراكز الشرعية الثابتة ، وما هو مرتبط بظروف الزمان والمكان المتحولة ، فسنة الحياة وتطور الحاجات يقتضيان منا تطورا ومرونة فى التشريع ..

ولا يعنى هذا التطور وهذه المرونة ان يصبح التشريع تابعا يسير فى ركاب الحياة ويخضع لتياراتها ..

بل لم يقل بذلك احد من علماء

---

(١) ورد فى المقال السابق بعدد ذي الحجة خطأ يلزم التنبيه اليه بصفحة ١٠٣ سطر ٣٢ تحت « خامسا » اذ ورد ان « الثاني يقابلهعدم الانعقاد » والصحيح ان « الثاني يقابله الانعقاد » .

التشريع الوضـــعى انفسهم ، لان للقانون وظيفة اجتماعية لا بد — كى يؤديها على وجهها — ان يكون هادفا تحقيق اغراض معينة ، تضـــيق وتتسع بحسب حاجة الناس والحياة ولكن يبقى للقانون ، وظيفـــة تجعله يضع للحياة — مع تطـورها ورغم تياراتها — معالم توجهها وقواعـــد ترتكز عليها وخطوطا عريضة تسير فى حدودها ولا تخرج عنها لانها تمثل حدود النظام العام للحياة الاجتماعية فى نظر الشارع . هذه المعـــالم والقواعد والخطوط العريضة هى الجزء الثابت من القانون الذى يعلو به على تطورات الازمان وتغـيرات البيئات .

فكذلك يلزم التفريق — فى ظـل الاسلام — بين نصوص الشريعـة الاصلية التى تتضمن هذه المعـــالم والقواعد والخطوط العريضـــة التشريعية ، فى الـكتاب العظيم ، وسنة الرسول الكريم صلى اللهعليه وسلم وتضع للحياة قيمها العليا ، وبين اجتهادات الفقهاء التى حاولوا بها تطبيق هـــذه القيم والقواعد على بيئاتهم وعصورهم سواء فيما هـــو ثابت الاعتبار ، وما هـــو مرتبط بالبيئة والعصر .

ومن هنا كان قولنا ان الموسوعة — بما تجمعه من اجتهادات الفقهاء — لا تصلح تشريعا يسد حاجة العصر ، لا من وجهة النظر الاجتماعية ولامن وجهة النظر الاسلامية نفسها ، وانما تقدم الموسوعة الفقهية للمجتمعـــات الاسلامية المادة التى تستمد منهــــا المجتمعات التقنين الاسلامي المناسب لها فى عصرها وبيئتها ..

وهنا يرد تساءل لا بد منه ..

لماذا لا تنصرف الموسوعة اذن عن جمع هذا التراث من اجتهاداتالفقهاء السابقين الى وضع اجتهادات جديدة لمجتمعنا المعاصر ، والحاجة داعيـــة الى هذه الاجتهادات التى تكون فى مجموعها التشريع الاسلامى للعصـــر الذى نحياه ..

وهو تساؤل فى محله ، من حيث الدافع اليه ومن حيث منطق التفكير نفسه ..

بيد ان النظـــــر الفـــاحص الى ما تستهدفه الموسوعة من جمـــــع الفقه القديم وتصنيفه ، يظهر لنـــا أن الموسوعـــة لم تنصرف عن ذلك الواجبمن وضع الاجتهادات الجديدة للحياة المعاصرة ، وانما هى تســير فى طريق التهيئـــــة الى أداء ذلك الواجب من نقطة الانطلاق السليمة التى تعتبر عملية جمع الفقه القــديم وتصنيفه اولى مراحلها ، وليســت بحال من الاحوال هدفها النهائى ولا مقصودها الاساسى ..

ولبيان اهمية هذه المرحلةالتمهيدية بل وضرورتها ، ينبغى أن نشير الى أنه يلزم المجتهد أن يعرف النصوص الشرعية — فى الكتاب والسنة — التى تحكم المسألة التى هو بصـــدد الاجتهاد فيها ، كما يلزمه أن يعرف مختلف الآراء التى ذهب اليهاالفقهاء من قبله — لا على أساس التقيـــــد بما ذهبوا اليه — ولكن لمعرفة دليـــل كل منهم وما احتج به لرأيه ، لان ذلك مما يعين المجتهد فى فهم النص الشرعى الذى يحكم المسألة ..

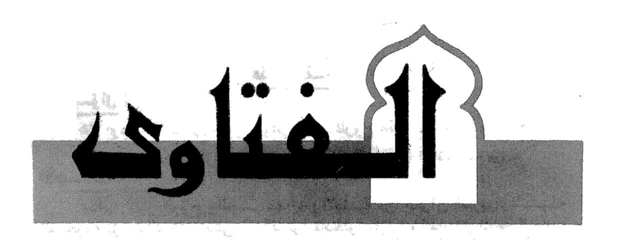
ولا شك فى اهمية عمل الموسوعة في هذا المجال اذ تجمع فى موضـــع واحد ، وبصورة منسقة مقـــارنة ، ما تشتت فى عشرات الكتب من آراء المذاهب المختلفة .

وإذا كان عمل الموسوعة مهمـا ومفيدا بالنسبة الى علماء الشريعة، فهو ضرورة لغيرهم من العلمـاء المختصين فى غير المسائل الشرعية كعلماء القانون والاقتصاد والاجتماع والسياسة والطب والتربية وغـير ذلك من العلوم الحديثة التى يحتاج الاجتهاد فى عصرنا الحـاضر الى تعاون العلماء المختصين فيها مـع العلماء الشرعيين على تحقيق مقاصد الشريعة وتطبيق نصوصها فيمـا يستجد من المشـكلات التى يحيط أولئك الخبراء المختصون بمعـرفة ابعادها وحلولها ..

ثم ان الاجتهاد المعاصر لا يجـوز أن يكون منقطع الصـلة بالماضى وخبراته ، فان الحلول التى وضعها الفقهاء الاقدمون لم تقتصر فائدتهـا على الناحية العلمية ، بل وضـع الكثير منها موضع التطبيق فى حياة الناس سواء فى صورة فتاوى عمل بها الافراد أم أحكام تضى بها القضاة أم نظم أمر بها الحكام ، ولا شك فى فائدة وضع هذه الخبرات الماضـية تحت نظر المجتهد المعاصر حتى يكون على بصيرة من تجارب القرون الماضية فى مختلف بلاد الاسلام

ليس الاجتهادوالتشريع مجرد رأى يطلق او مادة تكتب ، وانما هـو عملية معقدة يتفاعل فيها ادراك مرمى النص وحكمته مع وعى لواقـع الحياة المتشابك ، فى ضوء خبرات اسلافنا من المسلمين ومعاصرينا من غير المسلمين .. ولا يجوز أن نكون اقل حرصا على اتقان العمـل التشريعى من السويد مثلا التى ظلت تعد لتعديل قانونها الجنائى الصادر سنة ١٨٦٤ منذ الحرب العـالمية الاولى حتى صدر التعديل فى سنة ١٩٦٢ . ولا ان نكون أقل تقـديرا لميراثنا الشرعى من اسرائيل التى ما زالت مجلة الاحكام العدلية فيهـا قانونا مدنيا عاما امتدادا من عهـد الحكم الانكليزى ، وقبـله العهد العثمانى ، وهى فى عهد الاغتصاب والحكم الاسرائيلى لا تزال نافـذة الاحكام فى جميـع الاراضى التى تحكمها من تل أبيب الى سـائر المجتمعات العربية فيها وتطبيـق احكامها على اليهود والعرب، بانتظار تمخض العمل التشريعى عندهم عن بديل مناسب لهم ..





التيـــمم

الســــؤال :

انا سيدة شافعية المذهب ، اصبت بمرض شديد ، ويزداد هذا المـرض اذا اغتسلت فما حكم الشرع فى التطهر من الجنابة ؟

ع — س — بغــداد

الاجــابــة :

مذهب الشافعية ان تتيممى للجنابة ، وان تغسلى مع التيمم مالا يضر غسله من البدن ، ولا تصلى بهذا التيمم الا فرضا واحدا ، ولك أن تصلى ما تشائين من النوافل ، فاذا اردت ان تصلى فرضا آخر وجب عليك اعادة التيمم .

ومذهب المالكية أيسر لك وهو ان تتيممى لكل فرض متى كنتِ غير قادرة على الاغتسال ولا يجب عليك غسل شىء من بدنك .

صلاة الجمعة

الســــؤال :

نحن اهل قرية صغيرة ومذهبنا مالكي ، وشرط صحة صلاة الجمعة عند المالكية حضور اثنى عشر رجلا غير الامام على الاقل ، وفى بعض الجمع لا يحضر هذا العدد الى المسجد مع حضور الامام فهل نصلى الجمعة باى عدد او ننتظر الى صلاة العصر رجاء ان يحضر العدد المطلوب ، او نصلى ظهرا ؟ .

عامر السيد — مسقط

الاجــابــة :

مذهب المالكية كما جاء فى السؤال ان الجمعة لا تصح باقل من اثني عشر رجلا غير الامام ، فليس لأهل القرية أن يصلوا الجمعة باقل من هـذا العدد ، وليس لهم أن يصلوا ظهرا ما داموا يرجون تمام العدد ، وانمــا ينتظرون الا ان يخافوا دخول وقت العصر ، فان خافوا دخول وقت العصر صلوا ظهرا .

ولكن مذهب ابى حنيفة وابن حنبل وقول للشافعى فى مذهبه القديم أن الجمعة تصح باربعة أحدهم الامام ولأهل البلد أن يعملوا بهذا ، ولا يتركوا أقامة الجمعة .

عذاب القبر

السؤال :

هل يوجد عذاب في القبر ، وهل يكون للروح فقط ام للجسم والروح .

على الهاشمى — بيروت

الاجابة :

عذاب القبر للروح والجسم معا ، والادلة من القرآن الكريم والسنة الصحيحة تؤيد ذلك قال تعالى : (أغرقوا فأدخلوا نارا) والفاء فى اللغة العربية تفيد التعقيب والترتيب ، وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ان العبد اذا وضع فى قبره ، وتولى عنه أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم اذا انصرفوا اتاه ملكان فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل (محمد) فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له : انظر الى مقعدك من النار قد بدلك الله به مقعدا من الجنة — قال النبى صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا ، وأما الكافر والمنافق ، فيقول : لا أدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه ، فيقال له : لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين) .

هذه النصوص تدل على أن من فى القبر هو المعذب ، والموجود فى القبر هو الجسم والجسم لا يعذب بدون روح تدرك الألم واللذة .

وليس يلزم فى الحياة البرزخية ، ما هو لازم فى الحياة الدنيا من مشاهدة تحرك الجسم مثلا . والله أعلم .

تربية الكلاب

السؤال :

هل يجوز تربية الكلاب لحراسة الدار مثلا او لا يجوز ؟

محمد الرشيد — الكويت

الاجابة :

تربية الكلاب ، واقتناؤها لمصلحة مشروعة كالصيد والحراسة جائز شرعا ، فقد جاء فى صحيح مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص فى كلب الغنم والصيد والزرع .

علاج الزوجة

السؤال :

هل يجب شرعا على الزوج اذا مرضت زوجته ان ينفق عليها للعلاج كأجرة الطبيب وثمن الدواء .

عائشة الحسينى — حماة

الاجابة :

نقل عن الامام ابن عبد الحكم من فقهاء المالكية أن على الزوج أجرة علاج زوجته وثمن دوائها ، ونرى أن هذا من النفقات الضرورية التى يلزم بها الزوج ، فضلا عما توجبه المروءة ويقتضيه العرف .

ميراث

السـؤال :

توفى رجل وترك شقيقين وثلاث شقيقات ، وزوجة مطلقة طلاقا رجعيا ، ولا تزال فى العدة فمن يرث من هؤلاء وما نصيب كل وارث ؟

مراد العبد ــ عمان

الاجـابـة :

أولا المطلقة طلاقا رجعيا اذا مات عنها زوجها وهى فى العدة ترث زوجها ، ولها الربع فرضا لعدم وجود الفرع الوارث ، والباقى لاخوته الاشـقاء ذكورا واناثا للذكر مثل حظ الانثيين .

معاشرة الزوجة بعد الطلاق دون علمها

السـؤال :

رجل طلق زوجته ولم يخبرها بالطلاق ، وظل يعاشرها معاشرة الأزواج مع وقوع الطلاق الذى لا تعلم به ، فما حكم الشرع فى هذه المعاشرة ؟

آدم اسماعيل ــ الخرطوم

الاجـابـة :

الطلاق الذى أوقعه الزوج ان كان رجعيا ، وعاشرها الزوج قبل انقضاء عدتها ، كانت هذه المعاشرة رجعة ولو لم تعلم بالطلاق ، أما اذا كان الطـلاق بائنا أو كان رجعيا وعاشرها بعد انقضاء عدتها فهذه المعاشرة محرمة شرعـا ، ويجب التفريق بينهما .

التيمم لخروج وقت الصلاة

السـؤال :

استيقظت من نومى قبل طلوع الشمس بزمن يسير ووجدت نفسى محتلما ، واذا اغتسلت خرج وقت الصلاة بطلوع الشمس فهل يجوز لى ان اتيمم لأؤدى الصلاة فى وقتها أو اغتسل ولو خرج وقت الصلاة .

م ــ د ــ القاهرة

الاجـابـة :

فى فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية أن للعلماء فى ذلـك قولين ، فالأكثر كأبى حنيفة والشافعى وأحمد يأمرونه بالاغتسال وان صلى بعد طلوع الشمس .

ومالك يرى أن يتيمم ويصلى قبل خروج الوقت .

والأحوط أن يتيمم ويصلى ، ثم يغتسل ويعيد الصلاة بعد خروج الوقت .



موازنــة
بين صحافــة الراى والخبــر

كتب الأستاذ عبد الرحمن احمد شادى تحت هذا العنوان يقول : ـ

ذاع وشاع بين الناس ان صحافة الراى تضاءلت مكانتها ، واخلت الطريق لصحافة الخبر ، ولست ممن يؤمنون بهذا الراى ، وتكونت على هــذا الأساس صحف كثيرة همها الأكبر ، وعملها الأوحد ، نقل الأخبار الى القراء ، أو كانت من صحافة الراى أولا ، ثم غيرت من هيئتها وصورتها وتحولت الى صحافة خبر ، ميلا مع الريح حيث تميل ، وسيرا مع الاتجاه السائد ، وظنا انها لن تعيش اذا ظلت على صبغتها الاولى ، واستكثرت من مستطلعى الأخبار والوصــافين ، واستغنت عن الكتاب . ومهما فعلت فلن تستطيع أن تحوز قصب السبق ، لأن الاذاعات لها بالمرصاد ، تنافسها فى هذا المجال وتتفوق عليها ، والوليد الجديد التلفاز يشق طريقه بقدم ثابتة ويقدم الأخبار هو الآخر ، فما تفعل صحافة الخبر أمام هذين المنافسين !! لقد اصبحت عرجاء أمامهما فى السباق .. فهل تسبق العرجاء ؟

ومن الصحف من زاوجت بين المنهجين ، وظهرت فى الصورتين ، الا ان قلة الصفحات التى خصصتها للرأى تجعلها من صحف الاخبار ، وندرة الصفحات التى تشغلها بالأخبار تجعلها من صحافة الراى ، وخير نموذج للصحافة فى رأيى هو النوع الأخير ، لأن الأخبار لا يستغنى عنها من يريد أن يكون على صلــة بالعالم ، ولكن الأخبار ليست هى كل شيء ، ومن المعروف أنها تبلى بسرعة كلما مر عليها الزمن ، أما الأفكار والعقائد والآراء فهى أبقى واخلــد على ظهر الارض واعتقد أن أى مجتمع لا يستغنى عن صحافة الراى ، لأن الواقع متخلف باستمرار عن عالم المثل بحكم النقص البشرى ، ونزوع الانسان نحو الكمال ، وعمــل المصلحين والدعاة والرواد يتمثل فى نقل المجتمع الى مبادىء افضــل ، ونظم احسن ، ولا يصلح لهذه المهمة الا صحافة الراى التى تهتم بتنظيف المجتمع من الآراء الفاسدة ، واحلال الآراء الجديدة محلها ، فهى معرض للآراء الحكيمة ، والتوجيهات السديدة ، والنصائح الرشيدة ، ومجال أمام تبادل وجهات النظــر والشورى الفكرية ، وتقوم بالرقابة والتوجيه لبيئات المجتمع التى استشرى فيها الفساد ، وتعلم الجهال ، وتشغل أوقات الفراغ بالمفيد النافــع ، ثم يأتى دور العمل النافع بعد الاعتقاد والايمان ، فهى سابقة باستمرار لصحافة الخبر التى لا هم لها الا وصف الأعمال التى ظهرت نتيجــة الايمان والاقتنــاع ،

صحافة الراى عليها أن تزرع الارض وترويها وتحرسها من الآفــات ، وتتعهدها بالعناية والرعاية ، ثم تأتى صحافة الخبر لتصف حياة النبات ، والأعمال

التى قام بها الفلاح ، حتى جاء الزرع فى النهاية بخير الجنى وأطيب الثمر ، واذا مثلنا بمحنة فلسطين وجدنا أن صحافة الرأى هى التى تقوم بالعبء الأكبر والنصيب الأعظم فى غرس عقيدة الفداء ، ومبدأ التضحية والنضال ، من أجل الحق المغتصب ، ثم تأتى صحافة الخبر لتنقل الى العالم ما فعلته الأجيال التى تغذت عقولها على موائد صحافة الرأى ، فعملها بناء وتأسيس وتشييد ، أما صحافة الخبر فلا هم لها الا وصف هذا البناء وتصويره دون المشاركة فى أعباء التأسيس ، ومتاعب البناء ، ومشتقات زرع البذور ، ولولا صحافة الرأى ، وقيامها بدورها الفعال ، وجهدها الكبير ، ما وجدت صحافة الخبر مجالا للعمل ، وميدانا للحديث .

وتنزل صحافة يتسلى بها ، ثم يكون مصيرها الضياع والاهمال والهوان .

رعاية الاسلام للعقل

ومن كلمة للأستاذ عبد الخالق عبد الرحمن تحت هذا العنوان نقتطف ما يلى : —

القرآن الكريم لا يذكر العقل الا فى موضع الاكبار والتعظيم ، وينبه الى وجوب العمل به ، والركون اليه ، والذى يستقرىء القرآن الكريم يرى أن كثيرا من الآيات تأتى مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة ، وتتكرر فى مختلف معارض الصور فى الأمر والنهى التى تحث المسلم على ان يحكم عقله ، وأن يزن الأمور بالقسطاس المستقيم ، ولم يأت تكرار الاشارة الى العقل بمعنى واحد من معانيه التى يشرحها النفسانيون من أرباب العلوم الحديثة ، بل هى تشمل وظائف الانسان العقلية على اختلاف أعمالها ، وخصائصها ، وكثيرا ما نجد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص فى مواطن الخطاب ومناسباته .

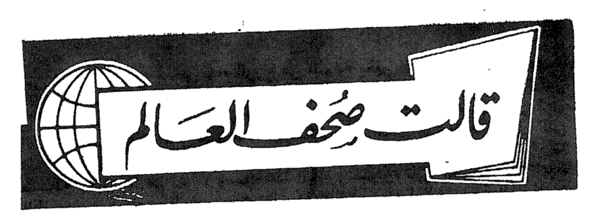
ان الخطاب فى القرآن الكريم يعم بحيث يتسع له الذهن الإنسانى ، ولا شك أن العقل المدرك هو العقل المفكر الذى يولى الموازنة حق قدرها للحكم على ما تتضمنه من المعانى .

ومن خصائص العقل التأمل فيما يدرك الانسان ليتقلب الأمور على أوجهها المختلفة ، ويسبر غورها ، ويستخرج أسرارها ، ليتبين نتائج الأحكام على أساس متين من العقل .

والقرآن الكريم يشمل العقل الانسانى بكل ما يحتوى من وظائف مختلفة الخصائص ، متشعبة الميادين ، وما ينوء بحمله من واجباته .

فمما جاء فى القرآن الكريم يدل على عظمة العقل والركون اليه فى ما خلق الله فى الكون من نظام دقيق ما جاء فى سورة آل عمران « **ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار** » ..

هذه صورة فنية رائعة ترينا خلق السماوات والأرض ، وارتباط ذلك باختلاف الليل والنهار ، وتدلنا على التفكير فى هذا الكون البديع الصنع المنسق ، وأن نذكر صانعه جلت قدرته .



دخل الحجاج عصر النصف مليــون
احصائية عن عدد الحجاج من جميع البلاد الاسلامية

وتحت هذا العنوان نشرت مجلة المجتمع الكويتية الاحصائية التالية : اعداد واجناس الحجاج الوافدين من خارج المملكة والذين وقفوا بعرفات يوم الجمعة التاسع من ذى الحجة ١٣٩٠ هـ الموافق ٥ فبراير ١٩٧١ م

الحجاج القادمون من البلاد العربية

عـدد	اسم البلد	عـدد	اسم البلد	عـدد	اسم البلد
٤٢٢٣٩	سوريا	٢١٠٣	الجنوبى العربى	٤٢٠٧	تونس
١١٤٩٠	مصر	٨١٥	ابو ظبى	١٣٩٢	قطر
١٩٤٨٢	العراق	١٠٦٤٠	المملكة المغربية	٢٤١٨	البحرين
١٤٨٦٥	السودان	٨٣٨	فلسطين	١٢٦	الشارقة وراس الخيمة
١١٨٢٥	ليبيـا	٨٠٧٢	الكويت	٨٨	عجمان وامارات اخرى
٣٩٦٠	الجزائر	٦٧١٢	لبنـــان	٣٥٥	دبى
١٠٩٠٩	الاردن	٥٠٢٦٩	اليمن		
١٥٦٩	عمـان				

مجموع حجاج الجامعة العربية ١٩٥٥٩٤   مجموع حجاج الخليج العربى ٦٧٨٦

مجموع حجاج البلاد العربية ذكور ١٣٥٦٩٩   اناث ٧٣٧٨٤ المجموع ٢٠٩٤٨٣

الحجاج القادمون من بقية دول آسيا

عـدد	اسم البلد	عـدد	اسم البلد	عـدد	اسم البلد
١٣٢٦٩	تركيا	١٠٣٦١	ماليزيا	١١	الصين الوطنية
٤٨٣٦٧	ايران	٤٩٨١	تايلاند	٤٠٤	سنغافورة
١٦٤٧٠	الهند	١٥٢	سيلان	١٥٠	فلبين
٢٨٢٥٦	باكستان	١	كمبوديا		
١٤٦٣٢	اندونيسيا	٧١	فيتنام الجنوبية		
١٣٦٦٢	افغانستان				

المجموع ذكور ١٠٧٣٥٣   اناث ٥٣٦٩٢   الجميع ١٦١٠٤٥

الحجاج القادمون من بقية دول افريقيـا

عدد	اسم البلد	عدد	اسم البلد	عدد	اسم البلد
٢٥١٨٧	نيجيريا	٣٣١	تنزانيا	٤٠٢	غانـا
٢٤٢٢	السنيغال	٤٦٧	كينيـا	١١١	توجو
١٨٢٧	النيجر	٤٦٨	داهومى	١٢١	جنوب وسط افريقيا
٢٩٥٥	الحبشة	٨٥	ليبريا	٥٦٧	ساحل العاج
١١٢٢	مالى	٣٦٢	زامبيا	٣٥٣	سيراليون
٥٤٠	فولتا العليا	٢٠٣٤	تشاد	١١١	جزيرة موريس
٧٢٤	موريتانيا	٢٦٣١	غينيا	٣١	مالاقاسى
٨٠٨	الكمرون	١٩٠	الصومال	٧	الكونغو كينشاسا
٩٤٠	اوغندا	١٩٥١	جنوب افريقيا	١٣٦	دول إفريقية اخرى

المجموع ذكور ٣٥٥٣٦ اناث ٢١٣٧٨ الجميع ٥٦٩١٤

الحجاج القادمون من أوروبا وامريكا

عدد	اسم البلد	عدد	اسم البلد	عدد	اسم البلد
٧٨٦	بريطانيا	٧٩	البرتغال		
٢٢٣	اليونان	٨٤	الولايات المتحدة		
٢٢١١	يوغوسلافيا	٣٢	اسبانيا ، دول اوروبية		
٣٧٢	فرنسا	٤١	دول اخرى		

مجموع الحجاج القادمين من اوروبا وامريكا ٣٨٢٨

المجموع الكلي لعام ١٣٩٠ هـ ٤٣١٢٧٠
مجموع حجاج عام ١٣٨٩ هـ ٤٠٦٢٩٥
الزيادة عام ١٣٩٠ هـ ٢٤٩٧٥

. . . .

وراء السوالف الطويلة تقف الصهيونية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (الأزهر) هذا المقال للواء الركن محمود شـيت خطاب :

ـ ١ ـ

فجأة انتشرت بين شباب العالم هذه (السوالف) التى هى امتداد لشعر الرأس الموازى للأذنين ليتصل بشعر اللحية فوق العارضين ، بحيث تغطى هـذه السوالف نصف الوجه تنقص أو تزيد قليلا .

والسوالف : جمع (سلف بااللهجة العامية المصرية ، وهى ما يطلق عليها : اسم (الزلف) فى بعض الأقطار العربية ومنها العراق .

والزلف : جمعها (زلوف) وهي بمعني (العلف) في اللهجة العامية المصرية

وربما يكون لكلمة (الزلف) سـند لغوى ، فيقال : زلف فى حديثه : زاد فيه ، وزلف الشيء : زاد فيه . فاذا امتد شعر الرأس الى اسـفل شحمتي

الأذنين ، فقد زاد مقداره عن المعتاد .

ولست بصدد اللغة الآن ، ولكنى بصدد الظاهرة التى اجتاحت أكثر شبابنا تقليدا لممثلى السينما الأجانب ، واتباعا للشباب الأجانب الذين تحرروا من كل فضيلة فأصبحوا عبيدا لكل رذيلة .

واذا كان الشباب الأجنبى يشكو (الضياع) ، لتفسخ الأسرة ، واهتمام الآباء والأمهات بالجنس ، وتكالب الناس على (المادة) وحدها ، دون الاهتمام (بالروح) ومتطلباتها .

واذا كان عقلاء الأجانب يشكون مر الشكوى من تردى شبابهم تميعا وانهيارا ، دون أن تقدم لهم الحضارة الغربية التى ثبت اخفاقها فى توجيه (القلوب) الى الصراط المستقيم ، والى المثل العليا ، وثبت تقصيرها عن الحلول الناجعة السليمة للأرواح الحائرة الضائعة .

فما المسوغ لشبابنا أن يقتفوا آثار الشباب الأجنبى ، والحضارة الاسلامية العربية حضارة (الروح) . و (المادة) ، تقدم الدواء الشافى للعقول والقلوب معا ، وتهدى للتى هى أقوم ، وتقود الى سبيل الحق والخير والنور ؟؟ !!

— ٢ —

فما هي حقيقة هذه السوالف ؟

هذه السوالف هى سمة من سمات يهود ..

لقد عملت الصهيونية العالمية على اشاعتها بين الشباب ، حتى تجرب مدى قدرتها على بث التقليعات القبيحة الشاذة ، ومدى تأثيرها فى الشباب بخاصة وفى الشعوب بعامة .

وقد استطاعت الصهيونية العالمية نشر رذائل كثيرة ، كلها معاول هدم للبشرية ولمثلها العليا ، اذ من المعروف أنها تهدف الى اشاعة الفحشاء والتحلل الخلقى والتفسخ فى العالم ، لكى تستطيع السيطرة على مصالح الأمم والشعوب غير اليهودية ، لأن الأمم والشعوب والجماعات والأفراد المتمسكة بالايمان والأخلاق القويمة ، لا يمكن أن تخضع لغيرها أبدا ، وليس من السهل السيطرة عليها .

((الخمر .. والمجون المبكر .. أعمال الرشوة والخديعة والخيانة ..)) ، تلك هى وسائل الصهيونية لتحطيم المثل العليا فى غير يهود ، كما تنص عليها بروتوكولات حكماء صهيون ، وهذا ما نلمسه تطبيقا عمليا على غير يهود ، بحرص يهود على نشره بشتى الطرق والوسائل وبمختلف الأشكال والأساليب .

وقد طغى مد النشاط الصهيونى لنشر الفساد فى الأمم الأخرى بعد عام ١٩٤٨ ، أى بعد خلق اسرائيل فى الأرض المقدسة .

وكلما اشتد ساعد اسرائيل وتوسعت ، ازداد مد نشاطها التخريبى فى العالم ، حسب مخططات موقوتة لها أهداف واضحة : هى تدمير المثل العليا فى العالم ، والقضاء على الأديان عدا اليهودية — خاصة المسيحية والاسلام .

— ٣ —

ان الذين يشكون فى نشاط الصهيونية التخريبى الذى يستهدف تحطيم المثل العليا فى الأمم غير اليهودية ، واهمون كل الوهم ، أو مغرر بهم كل التغرير ، أو عملاء كل العمالة .

واذا أحصينا شركات السينما ودور اللهو والنوادى الليلية والحانات والمقاصف وملاعب القمار ومحلات الجنس ومصدرى التصاوير الخليعة ومؤلفي

الكتب الجنسية ، الى غير ذلك من معاول الهدم والتدمير ، لوجدنا أن اكثر من تسعين بالمائة منها تابعة لمؤسسات صهيونية ، والمؤسسات غير الصهيونية القليلة التى هى وراء تلك المباذل تمول بصورة مباشرة أو غير مباشرة برأس المال الصهيونى ، كما تشجع الى أبعد الحدود من أجهزة الاعلام الصهيونية ، ومن المصارف الصهيونية .

فهل كل هذا صدفة وبدون تخطيط ، أم وراء الأكمة ما وراءها !

أما المؤسسات التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتكافح الرذيلة وتدعو الى التمسك بالدين والأخلاق ، فتتاوم من رأس المال الصهيونى ، وأجهزة الاعلام الصهيونية سرا وعلانية ، حتى تتلاشى وتذهب مع الريح .

وليس سرا ، أن أول من انشأ شركات السينما فى مصر بالذات هم اليهود ، ثم تلاقف انتاج تلك الشركات موزعون من يهود فى بيروت والبلدان الأخرى .

لهذا ليس عجبا أن تكون ثمرات السينما العربية فجة فيها السم الزعاف !

— ٤ —

حدثنى أستاذ جليل كان منتدبا للتدريس فى الولايات المتحدة الامريكية عاما دراسيا كاملا ، عن مظاهر التفسخ فى المجتمع الامريكى المعاصر .

وقد ذكر هذا الأستاذ الجليل انه صادف مقصورة لبيع الصور العارية الفاضحة والمجلات الجنسية الداعرة ، فسأل صاحبها عنها ، فعلم منه أنه يهودى ، وأنه مستعد لاستصحابه الى المحلات الصهيونية التى تنتج الرذائل وتصدرها .

ويهود وراء التحلل الخلقى فى انكلترا وهولندا والسويد وفرنسا ، وهم الذين أفسدوا الشباب والمجتمع ، وأباحوا الجنس ، وسنوا القوانين لحمايته وإباحته .

— ٥ —

وحين وجد غير يهود فى تلك الدول وفى غيرها أيضا ، من الذين لا خلاق لهم ولا ضمير ، ما تغدقه تجارة الجنس من أرباح ضخمة ، سال لعابهم جشعا ، وقلدوا الصهاينة ، فنالوا تشجيع الصهيونية العالمية وتأييدها ، لانهم أصبحوا آلات طيعة لتنفيذ مخططات الصهيونية فى التخريب .

والأمل وطيد فى أن يكتشف العالم قريبا حقيقة الصهيونية العالمية ، وحقيقة نشاطها التخريبى فى اشاعة الفحشاء والمنكر والثقافة الرخيصة بين الناس .

وأخشى ما أخشاه أن يفوت الوقت قبل أن يكتشف العالم ذلك ، فيفوت الوقت المناسب لاتخاذ التدابير اللازمة للحد من هذا الوباء .

والسوالف .. !

هذه السوالف جزء لا يتجزأ من محاولة الصهيونية العالمية للضحك على القطعان الضالة الضائعة ، والتلاعب بأهوائها وتوجيهها الى التيه والضياع .

لقد كنا نقول عن اليهودي : **« يهودى أبو سوالف .. أو يهودى أبو الزلوف »** .

فذلك لأن الذكور من يهود — خاصة المتدينين منهم — كانوا يطيلون سوالفهم ، كما يفعل الشباب اليوم تطوعا وعن طيب خاطر !

وقصة سوالف يهود معروفة .. فقد سبى بختنصر ملك بابل عام ٥٨٧ قبل الميلاد بنى اسرائيل ، وأخذهم أسرى الى بابل فى أرض الرافدين ، حيث انتشروا فى العراق وفى الأقطار المجاورة .

وأراد بختنصر أن يجعل لهم علامة فارقة يعرفهم بها النـــاس ، ليتجنبوا شرهم ويأمنوا مكرهم ، فأمرهم ان يطيلوا سوالفهم والزمهم بهذا التقليد .

وبدأ حاخامـــات يهود يكتبون (التلمود) وهو الكتـــاب الدينى ليهود بعد التوراة ، فسجلوا فى التلمود عادة اطالة الســـوالف ، وجعلوها شـــعيرة من شعائرهم الدينية ، لتبرئة ســـاحة بختنصر من الزامهم بهـــا من جهة ، ولرفع معنويات يهود بجعلها سنة دينية من جهة ثانية .

وأخذ يهود أنفسهم بهذه العادة منذ ذلك التاريخ ، فلما تفرقوا شرقا وغربا بعد اضمحلال الدولة البابلية ، حملوا معهم هذه العادة ، واصـــبحت جزءا من تعاليمهم الدينية .

وهكذا نجد اليهودى فى سورية ومصر وشمال افريقية واوروبا وامريكا واستراليا وفى جميع أصقاع الدنيا ، منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، يطيل سوالفه اذا كان متمسكا بتعاليم التلمود ، ويعتبر ذلك سمة من سماته وميزة من مميزاته .

وفجأة ظهر قبل ثلاث سنوات ممثل يهودى اسمه (دافيد) فى رواية من روايات الشركات الصهيونية التى تنتجها مدينة السينما (هوليوود) فى الولايات المتحدة الامريكية مركز تجارة السينما اليهودية ، وهو بسوالف طويلة ، لأنه كان يمثل دور يهودى متدين .. فما كان من الشباب فى العالم الا أن قلدوا هذا الممثل اليهودى الصهيونى .. !!

— ٦ —

وليس غريبا انتشار السوالف المسبلة بين شباب العالم للتميـــع ، ولكن الغريب انتشارها بين شباب العرب والمسلمين . وبالطبـــع بدأ شـــباب يهود بتقليده ، ثم انتشر هذا التقليد بالعدوى كما تنتشر الأوبئة .

ان شباب العرب والمسلمين فى معركة مصيرية على الصهيونية العالمية ..

والمتوقع منهم أن يخالفوا الصهاينة ، تنفيذا لسنة النبى صلى اللـــه عليه وسلم فى مخالفة يهود ، وحرصا على شخصيتهم العربية الاسلامية .

ان الصهاينة ليسوا أقل عداوة للمسيحية من عداوتهم للاسلام ، فهم أعداء كل دين وكل فضيلة وكل خلق كريم .. لقد رأيت شبابا عربا مسلمين يرتادون المساجد ويؤدون فرائض الله ، ولكنهم أسبلوا سوالفهم وقلدوا الصهاينة .

وقلت لنفسى : ترى ! هل يعرف هؤلاء حقيقة أمر السوالف ؟ ! هل يعرفون انهم ضحية (تقليعة) صهيونية ! أما وقد انكشف أمر السوالف ، فهل يتخلون عن هذه التقليعة السخيفة ؟ !

ان اليهودى الصهيونى هو الذى يطيل وحده سوالفه اتباعا لآثار تقاليده الدينية .

وهو وحده يرغب فى أن يفرض اتباع هذه التقليعة على شـــباب العالم بوسيلة أو بأخرى ..

فاذا كانت السوالف من سمات الصهاينة ، تهافت عليها الامعات والتافهون من شباب العالم ، فلمصلحة من يتتفى آثار الصهاينة الشباب العربى المسلم !!

اقلعوا يا شباب العرب والمسلمين عن اسبال السوالف ، حرصـــا على تأكيد ذاتكم ، وحفاظا على رجولتكم ، وتطبيقا لتعاليم دينكم الحنيف ..

تجنبوا تقاليد يهود ، وكونوا من مخططاتهم على حذر .

بريد الوعي الإسلامي

اعداد الاستاذ عبد المعطي بيومى

يهود يثرب

من الأسئلة التى وجهها كثير من القراء سؤال حول جنسية اليهود الذين سكنوا المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم اهم عرب اعتنقوا اليهودية ام هم اسرائيليون ساكنوا العرب ..؟

والجواب : أن المؤرخين اختلفوا فى هذه المسالة فعلا الى رايين : راى عامة مؤرخي العرب وهو ان هؤلاء اليهود هم من جنس اسرائيلى .

راى بعض المؤرخين من أشهرهم « اليعقوبى » وهو انهم عرب اتخذوا اليهودية دينا لهم ، ويرى هؤلاء أن بنى النضير وبنى قريظة فرعان من قبيلة جذام العربية تهودوا وسموا باسم المكان الذى نزلوا فيه ، فبنو النضير كما يقــول اليعقوبى فخذ من جذام الا انهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له النضير ، فسموا به ، و (وبنو قريظة) فخذ من جذام اخوة النضير ، ويقال ان تهودهم كان فى أيام السموال ، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فنسبوا اليه .

ولا نستطيع ان نختار مرجح أحد الرايين الا بعد أن نقف عند الاسس والادلة التي بنى كل من الفريقين رايه عليها :

فاصحاب الراى الاول يقولون : ــ

١) انه باستقراء عادات وأخلاق يهود بني قريظة ، وبنى قينقاع ، ومطابقة خط التفكير الذى سار فيه هؤلاء اليهود مع تفكير اليهود القدامي ــ الاسرائيليين ــ كما وصفهم القرآن فاننا نجد أن خط التفكير واحد ، وأن العادات والاخــلاق التي سجلها القرآن الكريم على الاسرائيليين هى نفسها عادات يهود المدينــــة وأخلاقهم ، مما يفيد بأن هؤلاء من أولئك وأن يهود المدينة فى عهد رسول اللــه صلى الله عليه وسلم هم من الجنس الاسرائيلى .

٢) ومما يزيد هذا الدليل ايضاحا ، ويضيف دليلا جديدا فى الوقت ذاته ، أن الاسرائيليين قوم مغلقون مغرورون بوهم أنهم شــــعب الله المختار ، فــلا يسمحون بأن ينضم اليهم أحد حتى لا يتمتع بنعمة الاختيار الآلهى ، وقد تعاقــب هذا الوهم في أجيالهم دون أن يتخلى جيل عنه ، مما يقطع بأن قبائل بنى النضير ، وبني قينقاع ، وبنى قريظة ، هى قبائل اسرائيلية ، ويستبعد جدا أن تكون قبائل عربية ، اذ يستبعد أن تدخل هذه القبائل هكذا بالجملة في شعب الله المختار دون أن يشتهر هذا بين الناس كما حدث مع قبائل اليمن التي تهودت أو تنصرت .

صحيح أنه قد ورد في الأخبار أن بعض اليهود من جنس عربي ، لكن هذا البعض لا يعدو أفرادا محدودين من قبائل مختلفة وكانوا معروفي النسبة ، ولم يرد في كتب الانساب العربية أن بني النضير وبني قريظة ، وبني قينقاع من أصل عربي .

٣) وبالاضافة الى هذه الأدلة فقد كانت القبائل اليهودية في المدينة تحرص على نسبتها الاسرائيلية فقد كان بنو قينقاع يزعمون أنهم من ذرية يوسف الصديق وكان بنو النضير وقريظة يسمون «الكاهنين» وكانت القبائل العربية كذلك — حتى المتهودة منها أو المتنصرة في اليمن — شديدة الحرص على نسبتها العربية .

٤) حتى الحصون والقلاع التي شيدها يهود المدينة تدل دلالة قوية على غربتهم وسط الخضم العربي ، وعلى سوء العلاقة بينهم وبين العرب مما اضطرهم الى بناء القلاع والقرى المحصنة ، وقد برزت هذه بشكل واضح عندما حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم وطردهم من المدينة ، وعندما اجلاهم عمر حيث لم يلجأوا الى قبيلة عربية تربطهم بها قربى ، بل نزحوا مباشرة على غير رجعة ، ومن غير أن يتوددوا الى أحد ، أو يتودد اليهم أحد .

أما أصحاب الرأي الثاني : الذين يذهبون الى أن هذه القبائل اليهودية هي قبائل عربية اعتنقت اليهودية ، ولكنها ليست باسرائيلية فيجعلون للعامل اللغوي أهمية في الاستدلال على جنسية يهود المدينة ، ويقولون ان أسماء الاماكن التي نزلت بها هذه القبائل عربية ، فتكون جنسيتها بالتالي عربية ، بينما تحاول طائفة من المؤرخين الفرنجة أن تجد اشتقاقا عبريا لأسماء بعض القبائل اليهودية .

لكن الحقيقة أن الاستدلال باللغة على الجنس استدلال لا يعتد به كثيرا ، فالافراد الذين تسموا بأسماء عربية كانت أسماء آبائهم تظل عبرية ، منهم على سبيل المثال عبد الله بن صوريا ، ووهب بن يهوذا ، وبالعكس مثل شمويل بن زيد ، وكروم بن قيس .

ومن هنا فاننا نتوصل الى القناعة بأن القبائل اليهودية الثلاث التي سكنت المدينة — بني النضير ، وبني قريظة ، وبني قينقاع — هي قبائل من جنس اسرائيلي .

الأحوال الشخصية

تذكر كلمة الاحوال الشخصية كثيرا ، فيقال لجنة الأحوال الشخصية ، وقانون الأحوال الشخصية ، ومحكمة الاحوال الشخصية ، فما المقصود بهذه الأحوال ؟ وهل هي قاصرة على الزواج والطلاق ؟

المهند عز الدين — الابيض

الجواب : الأحوال الشخصية هي مجموعة ما يتميز به الانسان عن غيره من الصفات الطبيعية أو العائلية التي رتب عليها القانون اثرا قانونيا في حياته الاجتماعية مثل كونه ذكرا او انثى ، وكونه زوجا أو ارمل أو مطلقا ، أو ابا او ابنا شرعيا ، أو كونه تام الأهلية أو ناقصها لصغر سن أو عته او جنون ، او كونه مطلق الأهلية أو مقيدها بسبب من أسبابها القانونية .



اعـداد : ع.ب

الكويت : صرح سمو الشيخ جابر الاحمد ولى العهد ورئيس الوزراء ان الكويت تشعر بعـدم جدوى الحلول السلمية ولن توافق الكويت على أى حل لا يرضى عنه الشعب الفلسطينى .

● عقد فى الكويت الشهر الماضى مؤتمر اتحاد المعلمين العرب وقد بحث المؤتمر اوضاع التعليم ووسائل الرقى به وتوحيده فى الدول العربية .

● تبرعت الكويت بمبلغ ٤٠٠ الف دولار لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين الدولية وسيستخدم هذا المبلغ فى الاغراض التعليمية للفلسطينيين .

● تلقت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية مذكرة من وكالة الانباء الاسلامية الجـديدة فى نيجيريا تطلب من الوزارة التعاون الاعلامى الاسلامى .

● تقوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بدراسات لانشاء عدة مساجد فى السودان خاصة فى المناطق النائية وقد سافر وفد من الوزارة الى السودان لهذا الغرض .

● صرح سعادة وكيل الاوقاف والشئون الاسلامية بان الوزارة ستنشىء مجموعة من المساجـد فى الكويت كما تقوم الوزارة بتحديد الاتصال برجال الفكر الاسلامى لمعرفة واقع المسلمين .

القاهـرة : أعلن السيد رئيس الجمهورية انه لا يوافق على تمديد وقف اطلاق النار مع العدو وان الحرب القادمة طويلة الأمـد .

● يعقد مجمع البحوث الاسلامية مؤتمرا لعلماء المسلمين وقد صرح فضيلـة شيخ الأزهـر بأن علماء المسلمين فى العالم سيبحثون وسائل الانتفاع بأضحيات الحجاج ووسائل تنسيق شعائر الحج ومسائل اخرى .

● قام فضيلة شيخ الاسلام فى السنغال وغرب افريقيا باجراء محادثات مع شيخ الأزهـر والمسئولين لتنسيق الدعوة الاسلامية .

● ناقش مؤتمر المجمع اللغوى الذى انعقد فى الشهر الماضى ٢٠٠٠ مصطلح علمى تمهيدا لتقريب التعليم الجامعى وتوحيد المصطلحات العلمية فى اللغة العربية وقد ابقى المجمع اسمـاء الاماكن التاريخية كما هى .

السعودية : صرح الامير فهد بن عبد العزيز ان الحاجة كانت ماسة الى وكالة انباء اسلاميـة تغطى انباء المنطقة والدول الاسلامية بحيث تتيح للرأى العام العالمى الاطلاع على الاحداث بنزاهـة وصدق .

● عقد بعد موسم الحج مؤتمر المنظمات الاسلامية وقد بحث المؤتمر انشاء الصندوق العالمى الاسلامى ومركز الدراسات الاسلامية وميزانية الامانة العامة للمنظمات الاسلامية .

الأردن : ستقيم جامعة الدول العربية بالاشتراك مع منظمة التحرير الفلسطينية اسبوعا عالميا لقضية فلسطين فى دول العالم الكبرى وذلك فى يوم ١٢ ابريل الجارى .

● عقد مؤتمر المجلس الوطنى الفلسطينى فى الشهر الماضى بالقاهرة وقد اتخذ عدة قرارات هامة لتوحيد العمل الفدائى ورسم خطة الكفاح الفلسطينى فى المرحلة القادمة .

● قال كريستور مايهيو النائب العمالى البريطانى ان مئات الالوف من غير اليهود يطردون من فلسطين فى عملية قمع عنصرية لا مثيل لها .

العـــراق : عقدت فى الشهر الماضى فى بغـــداد اجتماعات اتحاد الاذاعات العربية واشتركت فيها الوفـــود العربية ومندوبون من منظمة اليونسكو والاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية .

سوريا : صدر قرار بالعفو عن جميع السوريين الذين اخرجوا اموالهم خارج البلاد وحثهم على العودة للمشاركة فى بناء بلادهم .

السودان : قال الرئيس نميرى ان الشعب السودانى لم يرث عن الاستعمار غير الفقر والجهل والمرض وورث عن الاحزاب الاذلال والتناحر الحزبى .

ليبيـــا : كذب السيد صالح بويصير الانباء التى اذاعها رأديو لنـــدن وبعض الصحف اللبنانية عن اضطهاد للمسيحين فى ليبيا وقال انه لم يتم تحويل اى كنيسة الى مسجد .

● بعثت ليبيا الى الدول العربية مشروعا يدعو الى قومية المعركة ضد اسرائيل وقد بعثت الكويت بردها على المشروع وهى ان الكويت تؤمن بقومية المعركة وضرورة تبادل الراى لتنفيذ ذلك .

تونس : عقدت الجمعية التونسية لحماية القرآن مؤتمرا وطنيا استمر يومين فى الشهر الماضى وحضره مندوبون من الجزائر والمغرب وقد نادى المؤتمر بوجوب تدريس القرآن فى جميع مدارس تونس كما طالب بجعل يوم الجمعة هو يوم العطلة الأسبوعية ليتمكن المسلمون من صلاة الجمعة .

تركيـــا : أهاب رئيس بعثة الحج التركية بالمسلمين جميعا بتوثيق التعاون فى المجالين الاقتصادى والثقافى .

أندونيسيا : صرح الجنرال نابتيون رئيس المجلس الاستشارى الاندونيسى ان بـــلاده تحس باحساس كل مسلم وعربى نحو القضية العربية وفى مقدمتها تخليص المسجد الاقصى .

ماليزيا : صرح الامير تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة الاسلامية بان الامانة لن تبدا فى تنفيذ برامجها الا بعد ان تنقل الى مقرها فى جـــدة .

الهنـــد : اجتاحت الاضطرابات ولايات الهند على اثر خطف كشميريين لطائرة هندية وقد اعربت الاحزاب الاسلامية فى الهند عن قلقها من توجيه الاتهامات الى اتباع دين معين فى الهند .

افغانستان : اكـــد رئيس الوزراء مجددا تاييد افغانستان التام للقضية العربية .

نيجيريا : انشئت وكالة عالمية اسلامية جعل مقرها لاجوس .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الام عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـــلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد